المشرق

الكلدان النساطرة في الصين (١)

لحضرة الخوري بطرس عزيز النائب البطريركي على الكلدان في حلب

كانت بلاد الصين تُقسم في جغرافية الشرقيين القديمة الى قسمين الصين العليا او الشمالية وتسمّى الصين او الچين او بلاد الخطا ويحدّها بلاد التتر شمالًا والصين الحاليّة جنوبًا ونهر جيحون شرقًا وتركستان غربًا وقاعدتها خان بالق او پكين . والصين السفلى او الجنوبيّة وهي الصين الحاليّة وكانت تسمّى ماچين وقاعدتها خمدان او نانكين

على انّ الآثار التاريخيّة لا سيّما الاثر الجليل المكتشف عليه في مدينة «سِنغان فو» تشهد على انّ النساطرة في ايّام عزّهم بعثوا مرسلين ليزرعوا في تلك البلاد البعيدة بذور الانجيل المقدّس فنما الزرع وزكا من قديم الزمان في كل من هذين القسمين حتى الجيل السادس عشر وهو آخر عهدنا بوجودهم هناك. ففي سنة ١٤٩٠ رُسم يوحنا مطرانًا على ماچين من يد شمعون الثالث الجاثاليق وربّما سمّي يوحنا هذا مطران ائل ايضًا ثم خلفهُ

---

١) طالبنا لنظم هذه المقالة الكتب الآتية : ١° المكتبة الشرقية الجلد الاخير للعلامة السمعاني. ٢° تراجم البطاركة لعمرو بن متى الطيرهاني . ٣° التاريخ الكنسي لابن العبري . ٤° كتاب الرؤساء لتوما المرجي . ٥° العلاقات الرسمية بين الكلدان والكرسي الرسولي للاب شموئيل جميل . ٦° جريدة التمدن الكاثوليكي في تاريخ ٢٠ حزيران ١٩٠٣ La Stela di Singan-fu monumento cristiano dell' VIII secolo in Cina . ٧° كتاب الاب هفره اليسوعي المطبوع في الصين في ثلاثة اجزاء La Stèle Chrétienne de Si-ngan-fou par le P. Havret s. j., Changhai, 1895-1902 . ٨° رحلة يابالاها التي نشرها الاب بدجان اللعازاري ونقلها الى الفرنسوية الاب شابو

يعقوب ثم يوسف حتى سنة ١٥٠٤ وكانت كنيسة الجين وماچين يومئذٍ متحدة مع كنيسة الهند . وهنا تنقطع سلسلة الآثار في تاريخ مأتنا في ما يخصّ بلاد الصين ولعلَّ المسيحيين انقرضوا من هناك واندثرت معهم المطرنات النسطورية

على انهُ قبل ذاك العهد كانت النصرانيَّة النسطوريَّة زاهرةً في تلك الإصقاع والكراسي الاسقفيَّة والمطرنيَّة عديدة وها نحن ذا نورد ما بين ايدينا من اثار تاريخ الامة الكلدانيَّة المثبتة بهذا الامر الغريب قبل الكلام عن ذاك الاثر الشهير

١ انَّ عمرو بن متى الطيرهاني اخذًا عن كتاب الجدل لماري بن سليمان الذي عاش في الجيل الثاني عشر جعل في جدول مطرنات النساطرة المقام الثاني عشر لمطران الصين. وفي حاشية الكتاب المذكور يجعل المكان الثالث والعشرين لمطران خان بالق او بكين (١ في الصين الشماليَّة ومطران تنكت في الصين الجنوبيَّة. ويظهر انَّ المطرنتين قد اتحدتا يوم استولى قوبلاي خان ملك التتر على الصين وجعل قاعدة مملكته بكين سنة ١٢٦٨ فانَّ يابالاها الذي جعل ابن العبري تاريخ رسالته مطرانًا على الصين اعني على خان بالق او بكين سنة ١٢٧٩ كما سترى يدعوه عمرو مطران تنكت

٢. في سنة ١٢٨٠ جلس على كرسي البطاركة النساطرة رجل صيني وهو يابالاها هذا الذي سبق ذكره فانَّ ابن العبري بعد ان ذكر وفاة البطريرك دنحا قال: لما كان دنحا بعد في الحياة اتى من الصين راهبان ياغوريان بامر قوبلاي خان ليذهبا ويسجدا في اورشليم فلمَّا وصلا الى هذه النواحي لم يجدا طريقًا وفرصةً للسفر فبقيا عند مار دنحا . ثم خاف مار دنحا المذكور من ان يذهب عدوه ابن قليغ (٢ الى الصين فرسم احد هذين الراهبين الياغوريين مطرانًا للصين وسمَّاه يابالاها . وبينا كانا على وشك الرجوع الى بلادهما توفي مار دنحا . فدخل الامير اشمت الذي كان من جنسهما على ملك المغول واثنى امامهُ على يابالاها واخبره بانَّ النصارى يريدون ان يقيموه عليهم جاثليقًا وانَّ اهل البلد ايضًا رضوا بهِ راجين الافادة منهُ لتقرُّبهِ من المغول بالجنس واللسان. فصدر الامر

١) راجع المشرق (٤: ٤٠٦).

٢) قال ابن العبري: «شمعون المعروف بابن قليغ كان اسقفًا على طوس مدينة خراسان فرسمهُ مار دنحا الجاثليق مطرانًا على الصينيين فلمَّا بدا يتكبر على الجاثليق قبل ان يذهب الى الصين ارسل فجلبهُ الى عنده في مدينة اشنو من اعمال اذربيجان . . . وبعد ايام قليلة مات»

الملوكي ان يصير هو جاثليقاً فجمعوا نحو اربعة وعشرين اسقفاً وترلوا الى سليق وقسطفون (المدائن) وهناك رسموه جاثليقاً

٣ في سنة ١٢٤٧ كتب ربّان ارام النسطوري نائب الشرق الى البابا اينوشنسيوس الرابع يقول: قد ارسلنا لكم بيد الاخوة المذكورين قصّادكم (اندراوس. ورفيقه من رهبنة الدومنيكيين) رسالةً جلبناها من صدر الشرق اعني من ارض الصين

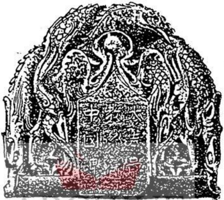
٤ في سنة ١٠٠٧ ارسل عبد يشوع مطران مرو من اعمال خراسان يعلم الجاثليق يوحنا الثاني بانّ ملك الشعب المدعو كيرت او التتر الداخلين الذين في الشمال الشرقي قد اعتنق الديانة المسيحيَّة مع نحو مائتي الف نفس من قومه كما ذكر ابن العبري وعمرو

٥ حدث ابو الفرج بن النديم في كتاب الفهرست سنة ٣٧٧ (٩٨٨ م) انَّ راهباً نجرانياً حكى لهُ بانهُ رجع من الصين حيث كان انفذهُ الجاثليق (النسطوري) منذ نحو سبع سنين مع رفاق خمسة وانهُ مكث هناك نحو ست سنين وكان مقرُّهُ مدينة طاجويه

٦ ثاودوسيوس البطريرك النسطوري الذي جلس من سنة ٨٥٢ حتى سنة ٨٥٨ يذكر في رسالة سنهادوسية مطران الصين في المكان الاول بعد مطارنة الكراسي الاولية الستَّة التي لها حق في رسامة البطريرك فيقول: « انَّ اصحاب هذه الكراسي يلزم ان يأتوا كل اربع سنين الى الجمع امَّا مطران الصين فيؤذن لهُ ان لا يراجع البطريرك المقيم في بابل لبُعد بلاده وانَّما ينبغي عليهِ ان يكتب لهُ في كل ست سنين ويعلمهُ عن احوال الكنيسة الصينيَّة »

٧ قال توما المرجي: « رُسم داود مطراناً على الصين وقد علمتُ ذلك من رسائل مار طيموثاوس » . وجلس هذا البطريرك طيموثاوس من سنة ٧٧٨ حتى ٨٢٠

٨ غير ان ما يستحقُّ الذكر في هذا الشان اثر نفيس اكتشف سنة ١٣٢٥ بقرب مدينة « سنغان فو » من اعمال خنسي (Chansi) وهي حمدان العرب في الصين الجنوبيَّة يخبر بمجيء مرسل نسطوري من بلاد فارس الى الصين سنة ٦٢٥ ويفيدنا عن احوال الكنيسة النسطوريَّة هناك الى غاية اقامة الاثر المذكور سنة ٧٨١ والنصب من حجر طولهُ نحو ثلاثة امتار نُقش في قمتهِ صليب جميل وتحتهُ الكتابة في وجههِ وفي قطريهِ



القسم الاعلى من كتابة سنغان فو الرائية الى سنة ٧٨١ م (عن كتاب هثره اليسوعي)

والكتابة في هذا الاثر منها باللغة الصينيَّة ومنها بالكلدانيَّة. وتُقسم الكتابة الصينيَّة الى ثلاثة اقسام

فالقسم الاول يشرح خلاصة التعليم المسيحي الذي بَشَّر بهِ هؤلاء المرسلون فيذكر وحدانيَّة الله وتثليث اقانيمهِ وخلقة العالم والخطيئة الاصليَّة ونتائجها وتجسُّد احد الاقانيم الثلاثة الّذي يدعوه مشيحا وولادتهُ حتى صعوده وافتداء البشر وبشارة الرسل وما يتعلق بالشرائع والاسرار والعادات المسيحيَّة مثل المعمودية والتثبيت والاعتراف والقداس واشارة الصليب والتوجه في الصلاة نحو الشرق وتقديس يوم الاحد وصلاة الفرض واسعاف الموتى والصوم وانَّ الاكليروس زينتهُ اللحية والاكليل في رأسهِ ويذكر كتب العهد القديم على عادة الشرقيين ويسمّيهِ الاربعة والعشرين سفرًا مقدسًا وكتاب العهد الجديد ويحصي فيهِ سبعةً وعشرين كتابًا

والقسم الثاني من الكتابة الصينيَّة هو تاريخي مفاده انَّ في سنة ٦٣٥ اتى من بلاد



الكتابة الكلدانيّة في اثر سينغان فو

تاتسين (اي المغرب بالنسبة الى الصين يريد حدود الرومانيين الشرقية) كاهن اسمهُ الابن[١] (Alapen) الى بلاد الصين في عهد الملك تايوتسونغ من سلالة تَنغ وهي السلالة الثالثة عشرة لملوك الصين فقبلهُ الملك واكرمهُ واجاز لهُ ان يبشر في بلاده بالديانة المسيحيَّة واصدر منشورًا يؤيد فيهِ هذه الديانة. وفي الاثر نص المنشور ويأمر المندوبين ان يعمروا كنيسة ثم يذكر نجاح النصرانيَّة في الصين في عهد الملك كاوتسونغ ابن تايوتسونغ الذي ملك سنة ٦٥٠ فيقول: « ان كاوتسونغ الملك العظيم ... عرف ان يوسع ويحترم اعمال ابيهِ فامر في جميع الولايات ان تقام كنائس واكرم الاقون باسم اسقف الشريعة العظيمة التي تدبر مملكة الصين فانتشرت شريعة الله في الولايات العشر وتمتع الملك بسلام تام وكانت المدن تمتلئ بالكنائس والبيوت تزهر بسعادة الانجيل »

ثم يذكر الاضطهاد الذي ثار على النصارى في زمن الملكة فوهوي التي جلست سنة ٦٨٤ وعقبهُ السلام والرفاهة في عهد الملك هيوتسونغ الذي اخمد الاضطهاد المضطرم بعمل جماعة من كهنة الاصنام سنة ٧١٩ وكان يبشر بالانجيل يومئذ يوحنا وكيليا الكاهنان. ولأنَّ هذا الملك ألَّف كتابات لاجل الكنائس المسيحيَّة وخطَّها بيده على الورق ونقشها على جدران الكنيسة واجزل لها العطايا وسنة ٧٤٥ انطلق الى الصين كاهن آخر اسمهُ « كيا-هو » برفقة يوحنا وبولس وغيرهما ونشر الدين المسيحي ببسالة هناك. وسنة ٧٥٧ امر الملك سوتسونغ بعمارة كنائس كثيرة ودام ملكهُ حتى سنة ٧٦٣ وخلفهُ تايوتسونغ حتى ٧٨٠ وكان كل سنة في عيد ميلاد الرب يرسل عطورًا سماويَّة دليلًا على ممنونيتهِ واكراماً لخدَمة هذه الشريعة المقدَّسة كان يعيّن لهم من القصر الملوكي مؤن معيشتهم. ثم جاء في عهد الملك كيانتسونغ ٧٨٠ الى بلاد الصين كاهن اسمهُ اوسو (ايشوع ؟) واخذ يبشر بالانجيل فأحبهُ الملك واهداه ثيابًا كنائسيَّة وزيَّنهُ بالقاب ووظائف شريفة في القصر الملوكي وخارجاً عنهُ. وفي ايَّام هذا الملك اشتهر امير اسمهُ كوكوي انتهز فرصة رضى الملك على النصارى فرمَّم الكنائس المهدومة وبنى كنائس جديدة ولم يكتفِ ان ينعكف على ممارسة شريعتنا المقدَّسة بل كان دأبهُ اعمال الرحمة وكان كل سنة يجمع قسوس الكنائس الاربعة ويخدمهم من كل قلبهِ ويقوم بحاجاتهم جميعها مدَّة خمسين يوماً وكان يشبع الجياع ويكسي العراة ويعتني بالمرضى ويدفن الموتى

١) قد وفق العلامة السمعاني هذا الاسم الصيني بالاسم الكلداني يابالاها

ثم بعد تلخيص ما عملهُ الملوك المذكورون في حق النصارى بوجه الاختصار وبالشعر والقافية يأتي القسم الثالث من الكتابة الصينيَّة وهو تاريخ هذه الكتابة فيقول: «انَّ هذا الاثر قد اقيم في ملك سلالة تنغ الكبير في السنة الثانية من جلوس الملك كيانتسونغ (سنة ٧٨١) في اليوم السابع من شهر الخريف نهار الاحد (الموافق ٤ شباط) وكان مدبر كنيسة الصين يومئذ الاسقف نيم سيو وانَّ المتدرين طيوسياسين خطَّ هذه الكتابة بيده (١»

امَّا الكتابة الكلدانيَّة فتقسم الى قسمين يحتوي الاول على تاريخ الاثر واسماء القسوس السبعة الذين اهتموا في اقامته وهذا نصُّهُ: «في ايَّام ابي الاباء مار حنانيشوع الجاثليق البطريرك آدم القسيس والخورفسقفوس وباباشي (٢ صينستان سنة الف واثنتين وتسعين يونانيَّة (٧٨١ مسيحية) مار يزدبوزيد القسيس وخورفسقفوس خمدان مدينة الملك ابن المرحوم ميلس القسيس الذي من بلخ مدينة تاحورستان اقام هذا اللوح الحجري المسطر فيه تدبير مخلصنا وبشارة آبائنا لدى ملك الصينيين آدم الشمَّاس ابن الخورفسقفوس يزدبوزيد — مار سرجيس القسيس والخورفسقفوس — سبريشوع القسيس — جبرائيل القسيس والارخدياقون ورئيس كنيسة خمدان وسراغ»

والقسم الثاني يحتوي على اسماء السبعين مرسلًا الذين بشَّروا بالانجيل في الصين من سنة ٦٣٦ حتى ذاك العهد واغلبهم مع لفظ الاسم بالصينية غير بينهم اسم يوحنا الاسقف

---

١) ولعلَّ القارئ يستغرب الاكرام الذي نالهُ النصرانيَّة من ملوك سلالة تنغ بخلاف ما هو مشهور من معاملة الصينيين الغرباء الذين ليسوا من بني جلدتهم لا سيا ملوكهم فعليهِ ان يلاحظ ان تقليدًا كان شائعًا بين الصينيين بان فيلسوفهم لاوتسي في الايام الاخيرة من حياتهِ (٥٠٠ قبل المسيح) سافر الى المغرب الى بلاد تاتسين (يريد بلاد الشرق) على عربة يسحبها ثيران زرق ولم يرجع وان لاوتسي المذكور كان من اجداد عائلة تنغ الملوكية فلا يبعد ان يكون الملك تايوتسونغ افتكر ان التعليم الجديد هو تعليم لاوتسي الفيلسوف المذكور وانَّ هذا التعليم رجع الى بلاده على يد هؤلاء المرسلين بعد ان انتشر في بلاد تاتسين

٢) اختلف العلماء في معنى هذه اللفظة باباشي فقال بعضهم ان معناها بابا اعني رئيس الكنيسة الاعلى الَّا ان سياق الكلام لا يحتمل هذا المعنى فان صاحبها هو خورفسقفوس فقط وقد رأينا ذكر الاسقف في هذا الاثر . فالارجح انها تركيب صيني يعبر بصيغة كلدانيَّة عن وظيفة الكاهن البردوت او الزائر او المفتش وكثيرًا ما تُعطى هذه الوظيفة للخورفسقفوس

وغريغور الارخدياقون ومار سرجيس خورفسقفوس صينستان وستة رهبان وعدداً كبيراً من الكهنة وغيرهم

اعترض البعض ان حنانيشوع البطريرك النسطوري كان قد توفي منذ ثلاث سنين يوم أُقيم هذا اللوح فكيف يقال فيه انهُ نُصب ايامهُ. نجيب قد تحقّق اليوم ان هذا البطريرك لم يمت سنة ٧٧٨ كما ذهب العلّامة السمعاني بل في ٧٨٠ فلما كان الاثر قد نُصب في ٤ شباط ٧٨١ فلا بد ان تكون الكتابة قد أُعدّت سنة ٧٨٠ قبل وصول خبر وفاته الى الصين فلا عجب ان يكون الخبر مجهولًا حينئذ في الصين وناهيك عن المسافة بين بابل وسنغان فو

ان الارشندريت الروسي بلّاجي وجد في مجموع مناشير ملوك ثنغ المنضدة سنة ٩٦١ منشور الملك تايوتسونغ الورد في اثرنا لسنة ٦٣٨ بالحرف تقريباً. والعالم الياباني تاكاكوشو يعلمنا ان في كتاب مؤلف بين ٧٨٠ و ٨٠٤ يروي ان سنة ٧٨٢ اعني سنة واحدة بعد نصب الاثر النسطوري ذهب احد البوذيين الهنود الى سينغان فو برفقة رجل اكليريكي من كنيسة تاتسين اسمهُ كين تسونغ (وهو اسم آدم بالصينية احد السبعة الذين سعوا في اقامة اللوح) وبشر بتعليم المشيحا وترجم الى اللغة الصينية كتاباً بوذياً (١

صحَّ اذن ان سنة ٦٣٥ اعني في بطريركية ايشوعياب الجذالي النسطوري دخل المرسلون النساطرة في بلاد الصين وبشروا بالانجيل وتبعهم ملوك وشعوب كثيرة وصاروا

---

١) من غريب الامور ان روح الغرض بلَغ بعض اهل البدع الى ان ينسبوا الاثر النسطوري الى عمل المرسلين اليسوعيين وتزويرهم ولا عجب فانهم في هذا الاثر رأوا سطراً الحكم على مزاعمهم من اناس نساطرة خارجين عن الكثلكة وذلك قبل قيامهم بثمانمائة سنة ومن الجهة الاخرى رأوا فيهِ ما يؤيد اعتقاد وعوائد الكنيسة الرومانيَّة التي نددوا بها وانكروا قدمها وحسبهم ما قال العلّامة البروتستاني نلدكه وهو يبني برهانه على شكل الكتابة في هذا الاثر قال: « لم يكن فقط محالًا على اليسوعيين ان يسطّروا كتابة سريانية كهذه بل كان ذلك محالًا على كل انسان عموماً في الجيل السابع عشر ». ثم ان بين لفظ اللغة الصينية في الجيل السابع عشر ولفظها في الجيل الثامن اختلافاً جسيماً لم يلاحظهُ العلماء الّا في هذه الايام الاخيرة فان اسم كبرئيل (جبرائيل) مثلًا يقابلهُ بالصينيَّة علامتان كانتا في الجيل الثامن تلفظان كاب ليت (حرف الراء لا يوجد في اللغة الصينية فيبدلونهُ باللام وربما ابدلوا اللام في آخر الكلمة بالتاء) فاذا قرأها الصيني باللفظ الجديد تُلفظان يا ـ لي فتأمل

الى ما صاروا اليه . امَّا قبل هذا العهد فليس لنا برهان اكيد على وجود النصرانيَّة في تلك البلاد على ان في تقليد الكلدان البابليين والملباريين ان الرسول توما بشر الهند والصين كما يظهر من صلاة عيد هذا الرسول عندهم وهو قول عبد يشوع الصوباوي وعمرو بن متى . فان لم نقل ان توما بشر الصين بنفسه فلا اقلَّ من انهُ صنع ذلك بواسطة تلاميذه وقال عبد يشوع الصوباوي في مختصر القوانين السنهادوسية الجزء الثامن الفصل ١٥ : « انَّ مطرنات هراة وسمرقند والصين اقامها صليبا زخا الجاثليق ويوجد من يقول ان الذي اقامها هو احَّا وشيلا » فمن هولاء البطاركة احَّا جلس قبل دخول النسطرة في بلادنا من سنة ٤١١ حتى ٤١٥ وشيلا من ٥٠٣ حتى ٥٢٠ وصليبا زخا من ٧١٤ حتى ٧٢٨ . فان كان عبد يشوع يرجح القول ان مطرنة الصين اقامها صليبا زخا الَّا انهُ لا يفنّد قول الذين نسبوا ذلك الى احا وشيلا بل يؤيده لانهُ لو لم يكن قبل ذلك العهد قد انتشرت هناك الديانة المسيحيَّة انتشارًا كافيًا لما لزم الامر ان يقيم صليبا زخا رئاسة اسقفيَّة في تلك النواحي وهذا لم يكن حدوثهُ في وقت وجيز . واذا كان ذلك كذلك فيكون الدين المسيحي قد دخل الصين قبل النسطرة (١ وعلى كل حال كفى الملَّة الكلدانيَّة فخرًا ان اكايروسها هو اول من حمل راية المسيح واسمهُ الى تلك البلاد وان شئتَ فقل ايضًا ان اول اثر تاريخي يؤكد لنا وجود النصرانية في الصين هو اثر كلداني

لمحة اقتصاديَّة
في مجاري المياه اللبنانيَّة

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقي

قد ذكرنا غير مرَّة في كتاباتنا السابقة انَّ لمجاري المياه في لبنان عوائد جمَّة ودورًا مهمًّا في اقتصاد الاهلين . الَّا انَّ كلامنا هذا كان منبثًّا في مطاوي ابحاثنا السابقة ولعلَّهُ لم يستلفت اليه انظار القرَّاء . فرأينا العود الى هذا الموضوع احمد لعظم شأنهِ ولذلك افردنا لهُ فصلًا مفردًا نبيّن فيهِ ما تحويه هذه المياه من الكنوز الدفينة التي

١) راجع ايضًا ما ورد في المشرق (٣ : ٨٤٨–٨٥٨) في دخول النصرانية الى الصين

جعلتها العناية الالهيَّة في ايدي الوطنيين ومن ثم نبحث اوَّلًا عن المبادئ العمومية التي يستند اليها هذا البحث ثم نتتبَّع مجاري المياه فردًا فردًا لنرى ما يستفاد من كلٍّ منها وذلك خصوصًا على ثلاثة وجوه: امَّا بالري لتُسقى المزدرعات التي تيبس دون الماء. واما بتحريك ادوات المعامل بدلًا من الفحم واصناف الوقود. واما بنقل الماء الشروب الى المدن الكبرى المحتاجة الى مناهل يستقي منها السكَّان

١ المبادئ العمومية

قد اتاح الله لبلاد سوريَّة قوًى طبيعيَّة عجيبة لو استفاد منها الاهلون لوجدوا فيها موارد ربح لا تفنى لولا انَّ هذه القوى تذهب سدًى وتتلاشى دون فائدة بحيث يصحّ القول انَّهُ ليست الطبيعة تقصّر عن خدمة الانسان وانَّما الانسان هو المقصّر في استخدام قوى الطبيعة مع قرب منالها. والحقّ يقال انَّ مجاري المياه اللبنانيَّة كافية لان تحوّل بلادنا الى بُقع زاهية بسبي شركات زراعيَّة او تغنيها بالمعامل الصناعية فيقتات من ارباحها الوفّ من السكَّان الَّا انَّها تنحدر في الغالب الى البحر بلا فائدة او تستنقع في البطاح الموبئة لا يُستثنى من هذا الحكم الَّا نهر او نهران يستنزف اللبنانيُّون مياههما لري المزدرعات. امَّا نتيجة هذا التهامل فبئست النتيجة اذ ترى الارض في فصل الشتاء مغمورة بالمياه المفرطة المضرَّة بالزراعة وبالصحَّة العمومية معًا وفي الصيف تنقص المياه وتنضب الى ان تيبس البقول ويتلف اهل بعض العاملات عطشًا مع قطعانهم

وفائدة المياه ظاهرة في الزراعة لا يجهل ضرورتها احد. بيد انَّ قليلين يدركون علَّة ذلك وباي طريقة تعمل المياه في النبات

ان عمل المياه في الفلاحة يكون خاصةً على وجهين مختلفين: الاوَّل ببرودته والثاني بتركيبه الكيموي. وذلك انَّ الماء اذا نفذ في الارض لطَّف حرارتها وانطأ نموّ النبات ولولا السقي لزكا قبل اوانهِ ويبس دون ان ينال من الغذاء ما هو ضروري لنموهِ القانوني. ويصيبهُ ما يصيب الولد اذا نشأ وكبر قبل السن الطبيعي فربَّما اداهُ نموُّهُ الى ان يميتهُ. فكذلك النبات لا يأتي بثمرهِ او يكون ثمرهُ قليلًا تافهًا. وقد ادرك العامَّة هذه الحقيقة في بعض امثالهم الشائعة فقالوا عن البذور النامية بسرعة وافراط « طويل بلا غلَّة » لعلمهم بانَّ الزكاء الظاهر ليس بدليل على كثرة الاثمار

اما كون الماء يفيد النبات بتركيبه الكيموي وجوهره فذلك لأنهُ يساعد النبات على تحليل المواد المغذية وتركيبه منها اجزاءهُ الكربونية وعلى امتصاص الاملاح المعدنيَّة من الارض بما يجديه للنبات من الرطوبة. ولعلَّ فعلهُ اشدّ واقوى بما يجرفهُ في سيره من التربة ويسحبهُ من بقايا النبات والاجرام المختلفة. وهذه المواد الجرونة تحتوي عناصر مخصبة اذا ما رسبت واختلطت بالتربة الزراعية اصلحتها وصارت لها بمنزلة السماد. وكميَّة هذه التربة التي تجرفها الانهار ربَّما بلغت الوف الوف من الطنَّات. قال البزاي روكلو في جغرافيته (ج ٢ ص ٦٧٨): ان نهر دورانس احد انهار فرنسة الجنوبية يجر في السنة نحو ١٨,٠٠٠,٠٠٠ طن من التربة الجرونة وذلك ما يساوي مكعَّبًا جهاته ٢٢٠ مترًا ولو رسبت على سطح متساوٍ في طبقة سمكها سنتيمتر واحد لكان متَّسع الارض التي يخصبها في السنة مئة الف هكتار». وهذه التربة المجرونة معدَّة احسن إعداد لنموّ النبات تستخلص جذوره منها كميَّة من الازوت المغذي اكثر من كميَّة ١٠٠,٠٠٠ طن من سماد القواتو المعروف بخصبه. فلا غرو اذا كرَّرنا مع الطبيعي الشهير طوريشلّي: «انَّ الطين الذي تجرفهُ المياه اثمن من رمل الذهب» ولعل. ذلك ما دعا قدماء السوريّين بان يسمّوا «نهر الذهب» (χρυσορρόας) بعض الانهار التي تجري في بلادهم كنهر بردى في دمشق ونهر جرش ما وراء الاردن والنهر الذي كان يجري بجوار مدينة لوقاس (وهي مدينة لم يُجدَّد موقعها حتى اليوم). فليت شعري من يمكنهُ ان يثمّن ما اتت به كل هذه المياه من الكنوز الزراعية منذ مئين من السنين. أفليست هي حقيقةً اثمن من معادن الذهب التي تفنى كنوزها بعد مدَّة قليلة؟

ولنا في النيل مثال قريب عن منافع هذه الجروف التي تسحبها الانهار فانَّ هذا النهر العظيم في فصل الفيضان يدحو كل يوم ما ينيف عن الف الف كيلو من المواد النطرونيَّة ويصبُّها في البحر وهو مع ذلك يُخصب في طريقه مسافات قدرها ملايين من الفدادين. ومع انَّنا لا نعلم بالضبط بطريق التحليل الكيموي ما تحتويه المياه السوريَّة من الثروة المعدنيَّة الَّا انَّهُ لأمر مقرَّر انها غنيَّة بها وكفاك دليلًا ما يُستفاد بالمقابلة. فانَّ الاختبارات الجيولوجيَّة في اوربَّة بيَّنت انَّ معدَّل ما يدخل من نيترات البوطاس في متر مكعَّب من مياه العيون والانهار الجارية في الجبال المركَّبة من الطباشير يبلغ ١٣ غرامًا امَّا النسبة فتختلف بين ستَّة غرامات الى ستين غرامًا ومعلوم انَّ عنصر

الطباشير هو الغالب على جبالنا فلا بُدَّ ان تكون نسبة نترات البوطاس في مياهنا اقرب الى ستين غراماً لارتفاع درجة الحرارة عندنا. فترى من ذلك ما تكسبهُ السهول المركَّبة عادةً من الصلصال اذا اختلطت فيها هذه المواد الطباشيريَّة لانَّ الصلصال انَّما تخصبهُ العناصر الكلسيَّة التي تحتويها المياه. ومن ثمَّ ينبغي على الإهلين ألَّا يفقدوا شيئاً من هذه الكنوز ولا يدَعوها تستنقع في البطائح او تنصبُّ في البحر دون فائدة

هذا وانَّنا نعلم انَّ كل المياه لا تصلح لتدسيم التربة لانَّ ذلك منوط بتركيبها الَّا انها كلّها تلطِّف الحرارة بطراوتها وتفيدها نداوةً وتزيدها خفَّةً وتسهّل فلاحتها للناس وللبهائم ثمَّ تحلّل العناصر المخصبة فتنفذها في بطن الارض وتقسمها قسماً متساويةً وتزيد مرافقها وغلّاتها على قدر ارتفاع درجة الحرارة حتَّى انَّ التربة يمكنها ان تأتي في السنة الواحدة بغلَّتين متواليتين بدلًا من غلَّة واحدة غير مستوفاة في الاراضي اليابسة وذلك رغماً عمَّا يطرأ على الهواء من التقلُّبات الجويَّة. فهذا لعمري نفع جليل لا يوازيهِ آخر فكم رأينا من الزروع المفقودة امَّا لقلَّة الامطار او لتأخُّر وقوعها بعد ان امتصَّت حرارة الصيف نداوة الثرى. وخلاصة القول انَّ السقي المنظَّم هو الذي يُزكِي المزدرعات ويبرّد لظى القيظ بطراوة مناسبة لكل قطر ويُغني التربة بالسماد مجَّانًا ويخلط العناصر فيخصبها بلا نفقات ويكثِر غلَّاتها بلا تعب ويأتي اخيرًا بالثروة والراحة (١

ولهذه الانهار في غير بلادنا نفع آخر لم نحصل نحن عليهِ وهو خوض هذه الانهار وركوبها بحيث تصير كطريقة للمواصلات التجاريَّة. وقد حُرمنا ذلك لاسباب منها قلَّة مياه هذه الانهار او بالاحرى هذه الجداول واختلاف كمّيتها في فصول السنة. أجل انَّ بعض هذه المجاري كالنهر الكبير والليطاني كثيرة المياه في ينابيعها ورؤوس عيونها الَّا انها تجري في المضايق وبين الجنادل والصخور التي تعيق مسيرها فلا يمكن ان تحوَّل الى مجارٍ مستقيمة السير متساوية العمق مستوفية لشروط الملاحة وقد شبَّهها الاقدمون بضواري السباع الشرسة الطباع من اسد وذئب (٢ لشدَّة جريها واندفاع مياهها

---

١) راجع كتاب الاديب ودبع مدوَّر المتنون سوريَّة الزراعيَّة (La Syrie agricole, p. 74, 84-85)

٢) دعا الاقدمون نهر الكلب باسم نهر الذئب (Λυκός) والليطاني نهر الاسد (Λεόντος ποταμός) راجع تسريح الابصار (ج ٢ ص ٢١)

فبعد هذه المقدّمة هلمّ نبحث عن كل نهر بانفراده لنستدلّ بوضعهِ عن الفوائد التي يمكن نوالها من مياهِ من حيث الوجوه الثلثة التي سبق ذكرها اعني الريّ وتحريك المعامل وترويد المدن بالمياه

٣ كيفية الانتفاع من الانهار اللبنانيَّة

فلنباشرنَّ بالانهار الجنوبيَّة واولها (الليطاني) وبما انَّ هذا النهر يجري بادئ بدء في السهل فلنبحثنَّ عن جريهِ في البقاع وخصوصاً عن ضفَّتهِ الغربيَّة لانَّ الضفَّة الشرقيَّة لاحقة بالجبل الشرقيّ ثمَّ نتبَّعهُ الى مصبّهِ في البحر

ليس نهر الليطاني قبل بلوغهِ المعلَّقة الَّا مسيلًا قليل المياه بطيء السير لا يفيد الزراعة افادة تُذكر فيستنقع في السهل وانَّما يُضحي مجراه حثيثاً ما وراء معلَّقة زحلة حيث ينصبُّ فيهِ البردوني . والبردونيّ نهر غزير لا تنقطع مياههُ صيفاً وشتاء تمدُّه الثلوج



منظر الليطاني قريباً من قرية برغش

الثراء المتجمعة في قمم صنين وهو كافٍ ليس فقط لان يحرّك الطواحين التي تُرى اليوم في طريقه ولكن يمكنهُ اذا بُنيت لهُ قناة حسنة ان يزوّد بالماء الشروب كل مدينة زحلة ومعلّقتها اعني ٢٥٠٠٠ نفس . وهو على خلاف ذلك لا يُستعمل الّا كمجرى لاوساخ المدينة فترى مياههُ الزلالية عند معينها تنصبُّ متعكرة سوداء في الليطاني. فيا ليت شعري أهكذا تُفقد كنوز هذا النهر الذي لا يقلّ طول مسيره عن ٢٤ كيلومترا ؟

واذا سرت ونهر الليطاني جنوبًا وجدتهُ يزداد ويقوى بما يجري اليه على ضفّتيه من السواعد كالشتورا ونهر عين جار ومياه قبّ الياس وعين قلمة المضيق الى غير ذلك من الجداول الصافية المتحدّرة من لبنان ومن الجبل الشرقي الغنيَّة بالمواد الكلسيَّة . وهذه المياه لو اتُّخذت لسقي سهل البقاع لنفعت تربتهُ الصلصاليَّة واصلحتهُ لولا انَّ هذا النهر يبلغ حينئذ في طرف السهل الجنوبيّ الغربيّ مضيقًا بعيد الغور مرتفع الضفّتين بحيث لا يمكن الاستفادة منهُ لا للزراعة ولا للصناعة . وبعد اجتيازه في هذا الغور العميق يندفع بقوَّة عظيمة وهو عند مخرجه يُدعى بالقاسميَّة ثم لا يزال جاريًا حتَّى ينفذ في البحر . ولو سعى بعض اهل المقدرة لأمكنهم ان يستفيدوا من مجراه فيسقوا الضواحي القاحلة التي بين صور ومصب هذا النهر فيكسبوا للزراعة مساحةً تبلغ ستَّة كيلومترات طولًا في عرض كيلومتر ونيف ويحولوها الى بقعة كثيرة المرافق طيبة الاثمار كبقعة صيداء المشهورة بخصبها وهي اوسع منها خمسة اوستَّة اضعاف . وما خلا السقي يجوز ايضًا استعمال هذه المياه للمعامل الصناعيَّة بان تُحصر وتُجعل على شبه شلّالات متحدّرة

(الزهراني) هو من اطول الانهار اللبنانيَّة مسيلًا ومياههُ قليلة لاسيما في فصل الصيف . واذا بلغ الجهات السفلى ادار نحو ثلثين طاحونًا وسقى بعض الحقول . لكنَّ كثيرًا من مياهه لا تأتي بفائدة فلو استُعملت لسقي السهل المنبسط عند مصبّه لأضحت حدائق صيداء ثلاثة اضعاف ما هي اليوم وزادت ارض الفلاحة نحو الف هكتار بدلًا من الارض البوار التي تُرى هنالك قاحلة يابسة لا يزكو فيها زرع اللهمَّ الّا بقعًا قليلة السعة تأتي بغلّات ضاوية

واعلم انَّ مسيل الزهراني عند اقترابه من البحر هو دون سهل صيداء فاذا عوَّل الاهلون على استخدام مياهه ينبغي لهم ان يبتنوا لها قناة في علوّ الوادي فيقسمونها

على مقتضى حاجات ارباب الفلاحة . وحري بهذه المياه وان كانت اقل من مياه الاولي ألّا تُترك سدًى ولا تُهمل فتجمّع في مستنقعات وبئة . وكان القدماء قد ادركوا نفعها فوضعوا للزهراني قناةً عند عينه تراها متورةً في الصخر وهي تتّصل بقناة أُخرى مبنيّة بالحجارة الملّطة تتبع الوادي وتدور حول الجبل متواصلةً بصيداء . ومن المرجَّح انَّ اهل صيداء كانوا يشربون من مياه هذا النهر فيفضلونها على مياه الاولي ولذلك لم يأنفوا من كثرة النفقات لجلبها من معينها (١

(الاولي) من الانهار التي يقدّر نفعها الاهلون كيف لا وهو غزير المياه يستلفت اليه الانظار بوفرة مادّته . وقد عرف الشيخ بشير جنبلاط في اوائل القرن التاسع عشر ما لهذا النهر من الجدوى فاتّخذ لهُ قناةً جعلها عند نبعه الباروك فجلب الماء الى المختارة وقسمها من ثمَّ بين القرى المجاورة فاحالها الى جنّات غنّاء تشبه غور دمشق الشهير بخصبها . وفي وادي يسري قناة اخرى قديمة تجمع المياه لمنفعة اهل صيداء فيستخدمونها لسقي البساتين وشرب السكّان . ثمَّ تنفذ في قناة تحت الارض وتسيل الى البلد حيث يستفيد منها الصيداويون لخدمة نحو ٨٠ بناية عموميَّة من مساجد وكنائس وحمّامات وتُقسم الى ٩٢ مأسورة فتسقي كل احياء البلد . واذا اضفت الى ذلك عدّة طواحين تديرها المياه عرفت غاية ما ينالهُ الاهلون من الاولي . ألّا انَّ هذه المنافع بالنسبة الى غزارة النهر قليلة اذ لا يستفيدون ألّا من ثلث مياهه فيضيع منهُ ثلثان في البحر . ولو شاء الصيداويون لأمكنهم ان يربحوا من هذا النهر فوائد جمّة بنفقات قليلة فيتّخذوا المياه المفقودة لمعامل شتّى ولتوسيع نطاق بساتينهم التي هي مورد ثروتهم

(الدامور) يصحُّ فيه قولنا عن الاولي . فانَّ هذا النهر كثير المياه غير انَّ معظم مياهه تنصبُّ في البحر بلا نفع . وان امعنت النظر في الخدم التي يؤديها وجدتها قليلة بالنسبة الى وفرة مادّته فانهُ في سيره الاعلى وعلى مقربة من مصبّه يدير عددًا من الطواحين . امَّا بين هذين الطرفين اي من جسر القاضي الى السهل فانهُ يسير في وادٍ عميق ضيّق لا يمكن تجهيز الطواحين عنده . وقد كان المير بشير عمر الشهابي ابتنى قناة من نهر الصفا احد سواعد الدامور وجرَّ ماءهُ الى بيت الدين فانتفع بهِ اهلها واهل

١) راجع مقالة لروبنصون في المجلة الاسيويّة الالمانية (ZDMG VI, 39)

دير القمر . وهذه القناة لا تزال حتى اليوم تواصل خدماتها لسكان تلك الناحية . ثمَّ انَّ مياه الدامور تسقي ايضاً مزارع التوت في جهات المعلقة وتجعل أرباضها كرياض فيحاء وحدائق غنَّاء ندر مثلها في بلاد الشام . على انَّ كل ذلك قليل بالنسبة الى ما يُمكن تحصيلهُ من هذا النهر فلو وُسعت قنواتهُ لاستطاع اصحاب المعامل (الكراخين) ان يولّدوا من تحدُّر مياهه قوَّة كهربائية كافية لتدوير دواليبهم وان يسقوا السهول الرحبة التي بين المعلقة وخلدا . وقد زادت اليوم منافع المياه منذ تجزت طريق العجلات بين بيروت وصيداء فاخذ عدد السكَّان ينمو وهم يحاولون الارتزاق بالزراعة الَّا انَّ مساعيهم سوف تحبط اذا لم تتوفَّر كميَّة المياه التي يحتاجون اليها

(نهر بيروت) يأتي بالمنافع المنتظرة منهُ فانهُ يحرّك الطواحين العديدة ويسقي السهل كلهُ ولذلك ترى مسيلهُ يابساً في وقت الصيف من الجسر الذي بناه المرحوم رستم باشا. واذا بلغ الى البحر منهُ شيء فذلك من فضلات القني بعد سقي المزروعات وهذه القنوات غير محكمة تسيل منها المياه وتنبسط في سهل بيروت وانطلياس ولا تلبث ان تتحوَّل الى مستنقعات تنبعث منها الجراثيم الوبيئة المسبّبة للحمّيات الملاريَّة . ولو بنيت هذه القني بعلة كافية لتحدَّرت الى البحر . هذا ولا يُنكر انَّ الزارع في هذه السنين الاخيرة قد اتَّسعت فتحسَّنت بذلك احوال الجو وقلَّت الحمّيات نوعاً . وأملنا أنَّ الزارعين يفرغون الجهود ويضاعفون العناية في اصلاح ما بقي من الخلل لتزيد بذلك ارباحهم ويتلاشى كل خطر على الصحَّة العموميَّة

وفي القسم الاوَّل من كتابنا «تسريح الابصار» (ص ٢٨-٢٩) وصفنا القناة التي عُني ببنائها القدماء لسقي سهل بيروت وجلب المياه العذبة للبلدة . ومن اعتبر مشروعهم هذا اخذه العجب من حسن نظرهم واصابة رأيهم وكفاهم فضلاً انَّ مياههم كانت تجري الى بيروت بقناة مغطَّاة بصفائح الحجارة فتأتيها صافية باردة يتهنأ بشربها السكَّان دون خطر من الجراثيم المعدية

(نهر انطلياس) استفاد منهُ مدَّةً احد افاضل الوطنيين لانشاء معمل ورق اضطرَّتهُ الظروف الى تركهِ ومياههُ تدير بعض الطواحين الَّا انَّ تسعة اعشارها لا تجدي نفعاً فتذهب سدًى وتنصبُّ في البحر (البقيَّة للعدد القادم)

عقيدة المطهر عند الكاثوليك

لحضرة الخوري الفاضل بطرس عقل الماروني

انَّ الكاثوليكيين يفتتحون شهر تشرين الثاني برفع بصائرهم الى السماء فيغبطون اعضاء الكنيسة المنتصرة على ما نالوه من سعادة لا يحيط بها وصف ولا يتمتع بها من كان قيدَ عقابٍ توجبهُ عليه ادنى الزلّات وهم لا يذهلون عن اسعاف اخوة لهم يقاسون عذاباً مبرّحاً وفاءً للعدل الالهي فبعد قضائهم العجب من حظّ آل النعيم يتقاطرون الى الكنائس والمقابر ضارعين اليه تعالى ان يتغمّد برضوانه من مسّتهم يدُ عدله. وقد احببتُ بهذه النسبة ان ابيّن لقرّاء المشرق الحجج التي تضطرّنا نحن الكاثوليك على اعتقاد هذه الحقيقة فعسى كلامي يقع في اذهانهم موقعاً حسناً وينبّه غيرهم الى حقيقة راهنة ليس في قبولها من مناص اذا ما بحثوا عنها بقلبٍ منزّه عن الاغراض كلفٍ بالحق يفهم الكاثوليك بالمطهر محلاً موقّتاً يحمل الله فيه نفوس الصالحين الذين ماتوا دون ان يفوا تاماً لعدله تعالى ليكفّروا عمّا لحق بهم من الزلّات الخفيفة او من تبعات الخطايا المغفورة . وهو اسم يطابق المسمّى لانَّ في المطهر تُطهَّر النفوس من ادرانها كما يُمحّص الذهب بالنار وان جاز ان يُدعى باسماء اخرى

انَّ الاعتقاد بالمطهر لأقدم عهداً من النصرانية اذ ورد ذكرهُ في العهد القديم لا بل نرى له اثراً عند الوثنيين انفسهم وقد دلّنا اليه ڤيرجيل زعيم الشعراء اللاتينيين قال : اذا ما تملّصت النفوس من قيودها أُكرهت على الانتقاء بعقاب مديد ممّا لحق بها من صدإ الحديد. وقد بيّن افلاطون انَّ النفس القابلة الشفاء تنالهُ في عالمٍ آخر بمكابدة الآلام. وكذلك افلاطون قد افرز في كتابه « فيدون » بين عقاب كبار المجرمين المخلّد والعقاب الموقت للذين ارتكبوا هفوات خفيفة. وقد وصف شعراء اليونان احوالاً لموتاهم يُستنتج منها اعتقادهم بمكان كانوا يعزلون فيه تكفيراً للالهة قبل ارتقائهم الى النعيم وليست تلك التقاليد ممّا يُستخفّ بها فانها من الحقائق التي اورثها الاولون قبل توغّلهم في ارجاس الوثنية والوثنية كما لا يخفى كانت تشمل عدّة حقائق اخذتها من التقليد الراقي الى الوحي الاول وهي لم تختلق الّا ما كان مؤاتياً للاهواء الخبيثة

وما اثبتهُ التقليد القديم عند الوثنيين وغيرهم يزيده العقل الصائب . كل يعلم انَّ بين الخطايا التي يرتكبها الانسان فرقاً عظيماً وانَّ منها ما يستوجب عند الله كما في الحاكم البشريَّة عقاباً شديداً كالقتل والزنى وما اشبههما ومنها على خلاف ذلك ما لا يستوجب قصاصاً الَّا خفيفاً كصغار الذنوب واللَّمم التي يأتيها البعض استخفافاً او جهلاً . مثال ذلك كذبٌ خفيف او سرقة شيءٍ لا يعبأ به . افتُرى من عدل الله ان يعاقب هذه الصغائر كما يقتضي من تلك الجرائم الثقيلة لا لعمري فانَّ العقل نفسهُ دون الوحي يحكم بانَّ الذنب الخفيف يعاقب بقصاص يناسبهُ والذنب العظيم يجازى بمثله من العقاب . وهكذا يصنع البشر وبين عدلهم وعدل الله بونٌ لا يُقاس . وان قيل انَّ النفوس المقترفة لمثل هذه الصغائر تدخل الى السماء دون عقاب اجبنا انَّ الكتاب المقدَّس ينكر انَّ شيئاً دنساً يمكنهُ دخول السماء حيث كل شيءٍ طاهر . وان قيل انَّ الله يتجاوز عن هذه الصغائر برحمته قلنا انَّ الله قد خصَّ هذه الحياة بالرحمة امَّا الآخرة فهي للعدل . وعدلهُ تعالى يقتضي عقاب الجرم وان كان ذنبهُ خفيفاً فلا يليق بقداسة رب العرش ان يقيم بازائهِ من كان ماوثاً بادنى عيب ويخلّ بعدله التعدي على شريعته دون وفاء . والّا نكان من يؤثر الموت على اقترافه ادنى زلَّة ومن يتعمّد ارتكاب الخطايا العرضية مستويَينَ بها يدركان الملكوت دون قيام فرق في سرعة نواله . ولا يجهل ابن الكنيسة ان النفس التي تشين بها الخطيئة العرضية لا تزال حائزة على نعمة التبرير فيمنع في هذه الحالة هلاكها ولا يسعها معها الحصول على السعادة التي قوامها مشاهدتهُ تعالى وكيف يتسنى لها ذلك قبل تطهيرها من كل وصمة الخطيئة فالخير على مقتضى المبدأ الفلسفي عن علة كاملة والشر عن كل نقص . فما دام في النفس أثر للخطيئة يتعذر عليها التمتع بالله الخير الكامل . هذا ما يبينهُ العقل الراجح . الَّا انَّ في الاسفار المقدَّسة حججاً وضعيَّة مقرَّرة

قد اتى في سفر المكابيين الثاني ان يهوذا المكابي جمع الفي درهم من الفضة وارسلها الى اورشليم ليُقدَّم بها ذبيحة عن انفس من صُرعوا من جنوده في معمعة القتال وقد استحسن الكتاب عملهُ فصرَّح بان فعلهُ كان من احسن الصنيع واتقاه وانهُ رأي مقدس تقوي (١) . وقد ازداد الامر وضوحاً بما أضاف فقال: ولهذا قدَّم الكفارة ليُحلُّوا من الخطيئة . فصحَّ انَّ من الخطايا ما يُكفَّر عنها بعد الموت والَّا لجاء كلام الله لغواً تعالى

١) ف ١٢ ع ٤٣

الحق سبحانه عن ذلك. وليس مكان الوفاء السماء لخلوها من العذاب وليس الجحيم لديمومتها فلا بدَّ اذن من موضع ثالث بينهما ولا خلاف في اي اسمٍ نطلقهُ عليه

ولعلَّ البعض ينكرون حجَّتنا مدعين ان سفري المكابيين ليسا في عداد الاسفار المقدسة. فنجيبهم ان الكنيسة اعلم بما استُودعته من الكتب المنزلة أمن الصواب ان تُنبَذ تعاليمها ظهريًا ويُذعن لرأي حديث لا يدعمهُ برهان

وزد على ذلك ان الكنائس الشرقية كلها تتَّفق في القول بقانونيَّة سفري المكابيين وكذلك قد افاد القديس اغوسطينوس ان الكنيسة الكاثوليكية قد تلقَّت ذينك السفرين منزلة سائر الاسفار الالهية (١ وقد اعترف بالامر جميع آباء مجمع قرطجنة الثالث الذي انعقد سنة ٣٩٧ (٢ وهؤلاء اقرب عهداً الى رسل المسيح وهم اجدر من المتأخرين في انبائنا عن اعتقاد الاولين. ثمَّ ان البابا اينوشنسيوس الاول وكان اجله سنة ٤٠٢ قد احصى سفري المكابيين من جملة الاسفار المنزلة ذلك لمَّا استطلعهُ فيها اكسوبار اسقف تولوز (٣ وممَّا يؤيد ما نحن بصدده ان بطريرك الارمن اليعاقبة سلَّم المركيز دي نوانتال سفير فرنسة في القسطنطينية خطًّا موقَّعاً عليه منهُ ومن كثيرين من اساقفته ومن سائر الاكليروس فيه يبدون رأي القائلين بعدم قانونية سفري المكابيين واسفار طوبيًا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ وباروخ. وقد قرَّر البطريرك مكاريوس سنة ١٦٧١ ان الروم الغير المتحدين مع رومية ينظمون في عداد الكتب المقدسة سفري المكابيين. والكتابتان محفوظتان في مكتبة دير سان جرمان دي بري

امَّا العهد الجديد فنعثر فيه على غير آية اثباتًا لحقيقة المطهر فقد اشار اليه المسيح لاسمه السجود في ما يلي قال الحق سبحانهُ في الانجيل الطاهر: «من قال كلمةً في ابن البشر يُغفر لهُ وامَّا من قال على الروح القدس فلا يُغفر لهُ لا في هذا الدهر ولا في الآتي (٤ ». فلو لم يكن من المآثم ما يُكفَّر عنها بعد الموت لكان تعبير المسيح منافيًا للحق لما فيه من الدلالة على ان لبعض الخطايا مغفرة في الدهر الآتي فهب مثلًا انهُ جاء

١) راجع الكتاب ١٨ من مدينة الله ف ٣٦
٢) راجع مجمع قرطجنة الثالث ف ٤٨
٣) اينوشنسيوس الى اكسوبار ف ٧
٤) متى ف ١٢ ع ٣٢

في قانون بعض الدول « ان كذا جرماً لا يُتجاوز عنهُ ولا بعد مكابدة الاشغال الشاقة مدة عشرين سنة » أفلا يفيد هذا انَّ القول من الجرائم ما يُصفح عنها عند انقضاء ذلك الوقت فلا بدَّ اذن من موضع يُنال فيهِ العفو عن بعض الخطايا بعد انصرام حبل الحياة الثانية ولا ازيدكم علماً انَّ ذلك الامر لا يتمّ وقوعهُ في الجحيم. وليست نارها للتطهير ولا في السماء اذ لا يدخلها شيءٌ نجس (١. وقد استخرج من ذلك النصّ الالهي الحجّة نفسها القديس اغوسطينوس (٢ والقديس غريغوريوس الكبير (٣ وغيرهم كثيرون ممن يُرجع الى قولهم

ولنأتِ على ذكر عبارة اخرى للاستاذ الالهي تدعم ما اخذت على نفسي بيانهُ قال تعالى اسمهُ في المديون الذي لم يُرضِ خصمهُ فزُجَّ في السجن: « الحق اقول لك انك لا تخرج من هناك حتى توفي آخر فلس (٤ » فان ذلك السجن الذي يترتّب على ذلك المديون ان يودع فيهِ ليس هو في هذه الدنيا لانَّ همَّ الفادي الالهي مقصور كلهُ على ما وراء الموت فانَّ جميع اعماله وكلامهِ غايتها تملكنا الحياة الابدية ولم نرَهُ فاه بلفظة تحذيرًا لنا ممَّا يشقّ علينا في هذا العالم بل ارشدنا الى الاستخفاف بمكارههِ. وكيف ينطبق كلام المسيح على سجن دنيوي كثيرًا ما يتملّص منهُ المسجون غير وافٍ ما عليهِ امَّا هربًا امَّا بطريقة اخرى. ولا يراد بهِ الجحيم لتعذّر الوفاء فيهِ فلا مندوحة اذن من مكان في الآخرة يفي فيهِ للعدل الالهي من مات متقيدًا بديون لا تستوجب ابدية جهنم. ولم يرَ القديس قبريانوس في ذلك الفلس خلاف ما اتينا على بيانهِ قال: « ليس سواء عدمُ الخروج من السجن قبل وفاء آخر فلس ونوالُ الثواب عن الايمان والفضيلة على اثر الممات (٥ ». وقد كتب ترتليانوس انهُ يُراد بالسجن المعبَّر عنهُ في الانجيل الاماكن السفلية وبآخر فلس الهفوات الصغيرة التي ينبغي الوفاء عنها (٦

ولنستفتِ رسول الامم في حقيقة المطهر ترَ ان من المؤمنين من يخلصون بعد

---

١) رومانيا ف ٢١ ع ٢٧
٢) الكتاب ٢١ في مدينة الله ف ٢٤
٣) الكتاب الرابع من محاوراتهِ ف ٢٩
٤) متى ف ٥ ع ٢٦
٥) الكتاب الرابع الرسالة الثانية من طبعة فروبين
٦) في كتابهِ في النفس

عبورهم في النار قال (كور ٣ : ١٥): «ومن احترق عملهُ فسيخسرُ الّا انهُ سيخلص ولكن كما يخلص من يمرّ في النار» فيكابد عذابًا عظيمًا شأن من احدق بهِ اللهيب من كل جهة فلا يفلت الّا وادركهُ مضض الحريق وانما اولئك هم الذين اتخذوا المسيح لهم اساسًا وبنوا عليهِ خشبًا او حشيشًا او تبنًا». وقد ألمع الرسول في ذلك الى المسيحيين الذين يلبثون متّحدين بالمسيح بالايمان والمحبة لكنهم يشوّهون انفسهم بما هو اشبه شيءٍ بالحشيش والتبن فيلزم ان يُحرق. وتبيَّن من تعبير الرسول ان تلك النار تلقاهم فورَ أجلهم جزاء عملهم الذي سيظهره يوم الرب (١ كور ٣ : ١٣). ولا غرو ان يوم الرب الحساب الذي يقع حال انفصال النفس عن الجسد. وقد اعتقد القديس اغوسطينوس (١ ان القديس بولس نظر في ما ذكرناه من كلامهِ الى المطهر قال: «يُستخنُّ بتلك النار لما قيل عن خلاص من يمرّ فيها لكنها تربو عذابًا على كل ما يمكن احتمالهُ في هذه الحياة». وقد فسَّر تلك الآية على ما سبق بيانهُ القديس امبروسيوس (٢ والقديس ايرونيموس والقديس غريغوريوس الكبير (٣

تلك حجج واهنة جديرة ان ينزلها العاقل منزلة الاعتبار. وهب ايها اللبيب المشرئبّ الى ضياء الحق ان المسيح والرسل لم يفوهوا ببنت شفةٍ اثباتًا لوجود المطهر وهل عثرتَ لهم على ما ينقضهُ وقد كان اليهود جريًا على تقاليد ابائهم يذكرون موتاهم بالصلوات والتقادم تكفيرًا عن خطاياهم فلمَ لم يردعهم الحقّ سبحانهُ ؟ لمَ لم ينادِ تلاميذه على رؤوس الاشهاد ببطلان تذكارهم للموتى ؟ هل امتنعوا عن ذلك حذرًا من مكروه يوقعونهُ بهم وهم لم يرهبوهم في امرٍ ولم يجبسوا لسانهم صدعًا بالحق مع ما كانوا يتوقعونهُ من المحن والعذابات ؟ . وان خالج فكرك ريبٌ في ما رويتهُ عن اليهود فلا تتحرَّج من استقراء ذلك من نفس قيامهم عليهِ في ايامنا. فانهُ من المحال ادبيًا ان يكونوا اخذوا عن النصارى ما يلحق بدينهم وهم عندهم الدّ اعدائهم

لقد تبيَّن من الكتب المنزلة صدق الاذعان باقتصاص العدل الالهي عند مزاية دار الفناء من مختاريهِ الذين لم يفرغوا من الوفاء لاثمٍ يترتب عليهم. وقد اتت التقاليد البيعية

---

١) في شرح المزمور ٣٧ مجلد ٨ من طبعة فروبين
٢) في المزمور ١١٨
٣) الكتاب الرابع من المحاورات ف ٣٩

مصداقاً على ذلك . ولمّا كنّا ذكرنا بعض اباء الكنيسة في معرض بيان النصوص المقدّسة التي استشهدنا بها فنجتزئ بما قلّ من اقوالهم توخّياً للايجاز قال العلّامة ترتليانوس: « انا كل سنة نقدم التقادم عن انفس الموتى (١ » . وقد كتب القديس يوحنا فم الذهب ان الرسل قرّروا وجوب ذكر الموتى في الاسرار الرهيبة (٢ . وانّ القديس ايرونيموس قد اثنى على بماكيوس السريّ الروماني لايثاره توزيع الصدقات عن نفس امرأته على نثر الزهور على نعشها (٣ . وارسل القديس امبروسيوس كتاباً لفوستينوس يواسيه في مصابه بشقيقته فاعلن لهُ وجوب الصلاة من اجلها (٤ . وقد صرّح القديس غريغوريوس اللاهوتي كما رواه القديس توما شمس المدارس بان الكنيسة الجامعة تصلّي من اجل الموتى ليُحلّوا من خطاياهم

واذا ما نُظر الى الامر بنظر الناقد البصير المترفع عن التعصب أليست المجامع العامة احقّ ان نتّخذها دستوراً نابذين وراء ظهورنا ما يعاكسها من آراء افراد ليس لهم صلاحيّة ان يأتوا بالقول الفاصل في المسائل الدينية ؟ فان آباء المجمع الفلورنتيني المؤلف من الكنيستين الشرقيّة والغربيّة وقد حضره البطريرك القسطنطيني اثبتوا ان الانفس التي تبارح الدنيا بريئة من الخطيئة المميتة ولم تفِ كل الوفاء عمّا اقترفتهُ لا بدَّ من تطهيرها في العالم الآتي . وقد قرّر المجمع التريدنتيني ان الكنيسة داومت في كل زمان على التعليم بوجود المطهر . وقد اعترف بموافقة التقاليد على تلك الحقيقة كلوين وكثيرون من انصار الاصلاح المزعوم منهم بنغام وكونانغ . وقد سلّم غيرهم من البروتستانت بمكان للتطهير منهم بلانكنور وبارو والفيلسوف الشهير لبنيتس

واما الكتب الليتورجية عند سائر الطوائف الكاثوليكية وعند اقدم المنفصلين عن رومة فجميعها تستعطفهُ تعالى على انفس الموتى . ومنها الليتورجية اليونانية فان اخوتنا الروم لا يزالون يرتلون قائلين : « ايها السيد المسيح نجّ من العقوبات الذين انتقلوا

---

١) في كتاب اكليل الجندي ف ٣ ع ٣

٢) في الميمر الثالث من شروحهِ على رسالة القديس بولس الى اهل فيلبي

٣) في رسالتهِ ٥٤ لبماكيوس

٤) في رسالتهِ ٤٩ لفوستينوس

عنّا » (١ . ولا غروَ ان ليس مدار الكلام عن العقوبات الجهنمية فانهم يعتقدون بديمومتها . فمن اين تأتي لجميع الكنائس الشرقية على اختلاف نزعاتها ان دوّن في كتبها القديمة العهد الاقرار بمكان تُسعف فيه الاموات ؟ أدسّت فيها الاحبار الرومانيون ذلك التعليم او احدثهُ المنفصلون ؟ فانَّ تعذُّر الامرين لا يحتاج الى برهان وهل يختلقون او يثبتون ما يناقض رأيهم . فوجب اذن انهم تناقلوها على ما كانت وقت تخلفهم عن وحدة النصرانية

هذا ما رأيت تحريره عن عقيدة المطهر وقد حداني الى ذلك حبُّ الحقيقة التي استودعها المسيح كنيستهُ المعصومة ضرورة من الزلل في تعليمها واني رغبةً في خلاص النفوس المفتداة بالدم الكريم اعرض ما سطرتهُ على عقول لا ترضى عن الحق بدلًا وعلى قلوب تبتغي نوال ما لاجله تجسّد ابن الله فهو تعالى المسؤول ان يضم الاخوة المنفصلين في حظيرة واحدة امين

سياحة حديثة الى جهات اوربة

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد اضحت اوربة مطمحًا لابصار كثيرين من اهل بلادنا فيقصدونها حينًا بعد حين ترويحًا للبال او ترويجًا للاعمال فاذا عادوا الى مسقط رأسهم افاضوا في ذكر العجائب التي شاهدوها . وقد عهد الينا في الشهور الاخيرة من نيطت بهم زمام امرنا بان نذهب في معيّة بعض طلبة مدرستنا الكليّة من اعيان العجم فنصحبهم الى بلجكة ليتمّموا فيها دروسهم . فبعد عودتنا طلب الينا الاصحاب بان نسطّر في المشرق اخبار رحلتنا فاجبنا الى طلبهم بطيب الخاطر . وليست غايتنا من تحبيرها استيفاء وصف البلاد التي طفنا فيها بل تدوين اخبار سياحتنا على اسلوب المتجوّل المسرع الذي لا يسمح لهُ قصر الوقت بالفحص المدقّق وانّما يأخذ من كل شيء ما قرب جناه ودنا متناولهُ

---

١) في سحر السبت من اللحن السابع

اقلعنا من بيروت على الباخرة الافرنسيَّة ظهر السبت الواقع في ١٦ تموز وفي رفقتنا قوم من وجوه البلدة وتجارها مع تلامذة المدارس العائدين الى مواطنهم ليقضوا فيها زمن العطلة المدرسيَّة وكان وجه البحر صقيلًا هاديًا وأديم الجوّ صافيًا والهواء يتلظى بهبوات القيظ . فسرنا وعيوننا شاخصة الى لبنان ومناظره البديعة الفتَّانة فما مرَّ علينا ساعتان حتى توارت قممهُ الشاهقة وراء السحاب ولم نعد ننظر الّا السماء والماء . أنعم بالسفينة البخاريَّة وهي تمخر العباب كأنها في سيرها الحثيث احدكماة الفرسان يتزل في الميدان بهيبة وسطوة فلا يرى من يناويه او هي كاحد تنين البحر يركب متن المياه فيتصرَّف بحركاته كيف يشاء . وانت لا تسمع في تلك الاثناء الّا جعجعة الدواليب تدور بحركة منتظمة وتطنُّ في اذن الركَّاب دون انقطاع

ومن عادة السَّفر في البحار اذا غاب عن بصرهم عالم البرّ ان يوجهوا الالحاظ الى عالم السفينة فيجدون فيها عالمًا صغيرًا يغنيهم عن العالم الخارج وهناك الرئيس والمرؤوس والخامل والنبيه من الفقير الصعلوك الى الثري الوجيه تراهم يعيشون عيشة الاخوان ويتزجون امتزاج الارواح بالابدان ربما ترسو بهم السفينة قريبًا من عزيز الاوطان او تبلغ بهم الى ما قصدوه من البلدان . وكم صداقة توثقت عراها بين راكبين قدامت الى وقوع الحَين

ثمَّ جاء المساء واذا بجبال قبرس قد لاحت لنا من عن شمالنا ورأينا منائرها ليلًا فحيَّينا هذه الجزيرة عن بُعد وتذكرنا ما طرأ عليها في كرور الازمان . فاوينا الى الفراش واللسان يكرّر سبحان الخالق الذي لا تصيبهُ بوائق الحدثان

هببنا من النوم باكرًا في غدٍ واذا بالسفينة بين صعود وهبوط تتمايل بها الرياح ذات اليمين والشمال فتجري كالثمل السكران فأُصيب كثيرون بدوار البحر فلزموا فراشهم غير انَّا رأينا انَّ افضل دواء لعلاج هذا الداء استنشاق الريح الطيبة والجري على ظهر الباخرة . وكان اليوم يوم احد فتمنَّينا لو أُتيح لنا تقدمة الذبيحة المقدَّسة او حضور الرتب الالهيَّة مع لفيف المسيحيين لكنَّ الظروف قضت بأن ندعو الى الله في سرّ القلب ونعظّمهُ كصاحب الزبور (مز ٩٢ : ٤) في صوت المياه الغزيرة وفي طغيان صوت البحر واضطراب امواجه

وفي ضُحى النهار ظهر لنا عن يميننا برّ الاناضول مع ما هناك من الجبال الشاهقة

الضاربة بالسحاب والمكتسية بالغابات الكثيفة التي منها يستجلب السوريون اخشابهم للبناء. ولم نزل مُيامنين لتلك السواحل والريح تواجه السفينة حتَّى دخلنا بين جزر الارخبيل عند العصر فكانت كَسِرَ للباخرة فسكنت الريح واستقام سير المركب وطاب السفر وكانت العيون تقرُّ بمناظر الجزر العديدة التي تُرى من عن شمالنا وهي تمرُّ امامنا على هيئاتها المختلفة مع جبالها البركانيَّة وقراها المترقّة ودساكرها النضرة مباشرةً برودوس المدعوَّة خريدة البحر المتوسط الشهيرة بصنمها المنسوب اليها وكان منتصباً عند مرفإها معدوداً من عجائب الدنيا السبع . وكانت المناظر تتوالى علينا يميناً وشمالاً لم يشبع منها النظر حتَّى حالت دونها ظلمات الليل

وما لاح الفجر حتَّى رست بنا السفينة في جزيرة ساموس ولها مرفأ جميل على شكل نصف دائرة يُدخل اليه من معبر يشبه البوغاز بين تلال غضَّة وآكام خضراء . وساموس جزيرة كبيرة فيها نحو ٣٠ قرية يسكنها نيف و ٥٠٠٠٠ نفس واكبر هذه القرى ثاني تمتدُّ على منعطف الجبل وتتَّصل بالبحر وفيها مركز الحكومة والسفن ترسو عندها قريباً من رصيفها الحسن . وتجارة ساموس رائجة ومعظم اشغال اهلها بالتبغ والخمر وكلاهما معروف بجودته ورخص اسعاره . وفي ساموس رهبان افرنسيون من المرسلين الافريقيين تحفَّوا بنا ذهاباً واياباً ولهم مدارس زاهرة وتساعدهم في تثقيف البنات الراهباتُ اليوسفيَّات . وقد عرف الاهلون فضلهم واجزلوا شكرهم . وساموس طيّبة الهواء معتدلة الحرارة صيفاً وشتاء الَّا انها معرَّضة للزلازل كرودوس وساقص . وقد أُصيبت بهذه النكبة بعد مرورنا عليها بشهر ونصف فخرب قسمٌ من قراها

ثم اقلعنا من ساموس عند الساعة العاشرة قاصدين ازمير لنبلغها قبل المساء وغاية ارباب السفينة ان يتزوَّدوا فيها حاجتهم من الفحم لئلا يقضوا النهار باعمال التجارة من تفريغ وشحن . وكان سيرنا كمساء اليوم السابق بين الجُزُر البديعة والمناظر البهجة منها ساقص الشهيرة بحاصلاتها من حرير وخمر جيّدة وفاكهة طيّبة وفيها المصطكى الفاخرة المختصَّة بها ولا يزال ذكر زلزالها الذي اتلف قسماً كبيراً منها سنة ١٨٨١ يرعب فرائص سكَّانها

ثمَّ بلغنا ازمير في ساعة موعدنا فدخلناها قبل المساء بعد ان مررنا قريباً من كلازومين (اورله) التي أُنشئت فيها محاجر صحيَّة غاية في الاتقان لتطهير السفن الموبوءة. وشاهدنا من عن يسارنا في قونيه المَلَّاحات العجيبة التي هي احد موارد الثروة لاهلها .

ولهذه الحاضرة مرفأٌ طبيعيٌ متَّسع الارجاء امين جدًّا غير انهُ معرَّض للريح الشماليَّة وقد أُنشئ لها مرفأٌ صناعيٌ سعتهُ كسعة مرفأ بيروت . وللمدينة منظر جميل ترى عن شمالها غابة سرو كثيفة تزيّن مقبرتها بخضرتها الدائمة . وفوقها جبال يقضي فيها اهلها فصل القيظ . ولها المرابض الرحبة تسير اليها قطارات الترامواي برًّا والبواخر بحرًا لا تني في حركتها من ذهاب واياب . وتجارة ازمير مشهورة تكثر فيها البضائع الحريريَّة والقطنيَّة والاصواف . وطنافسها مرغوبة عجيبة الصنع (راجع المشرق ٦ : ٨٨٧) الا انَّ قسمًا كبيرًا من سكّانها يرتزقون ببيع اثمارها كالعنب والزيتون ولا سيَّما تينها الطيّب الكبير الحجم المشهور في كل الاقطار ولاهل المدينة عيد عظيم وهو اليوم الذي تتقدم مواسيق النوق لاوَّل مرَّة حاملةً للتين فيزيّنون الاسواق ويقيمون الافراح . وفي معاملهم نحو ثلاثين الفًا من العملة يشتغلون بتعبئة علب التين وتجهيزها

وآثر كثير من ركّاب السفينة ان يقضوا ليلتهم في المدينة لينجوا من غبار الفحم امَّا نحن فبقينا على ظهر الباخرة ونزلنا الى البر عند سحر يوم الثلثاء . وقد اتَّفق انَّ ذلك النهار كان عيد القديس منصور دي بول منشئ جمعيَّتي الآباء اللعازريين وراهبات المحبَّة فقصدنا دير الآباء لنشاركهم في افراح العيد فاظهروا لنا من اللطف والحفاوة ما لا مزيد عليه ولم يشاؤوا ان نفارقهم الى ساعة اقلاع السفينة . وفي رأد الضحى اقام السيد مارتنو الدومينكيّ قداسًا حافلًا حضرهُ القنصل الفرنسوي بزيّهِ الرسميَّة وكانت هذه اوَّل حفلة يتصدَّر فيها السيد مارتنو الذي عيَّنهُ الكرسيّ الرسوليّ حديثًا كمساعدٍ للسيد تيموني مطران ازمير . وفي ظهر النهار ادب حضرات الآباء مأدبةً شائقة تصدَّر فيها السيد تيموني وقد انحنى صلبهُ وخذلتهُ قوَّتهُ كهربون اخيرلحبّتهِ لابناء القديس منصور قبل وفاتهِ التي وقعت بعد ذلك بثلاثة عشر يومًا فقط . وكان على يمينهِ قنصل فرنسة في ازمير وبازائه السيد مارتنو مساعده وخلفهُ بعد وفاته . وحضر المأدبة ايضًا عدد من نخبة الاكليروس العالمي والقانوني وتلامذة المدرسة اللعازريَّة القدماء واعيان البلد . فوجدنا في هذا الاخاء اقوى دليل على ما لحضرات الآباء من الاعتبار في نفوس اهل ازمير . ثمَّ زرنا المدرسة وشاهدنا ما بقي فيها من آثار الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي سبقت الجمعيَّة اللعازريَّة في ازمير وخدمت هناك المسيحيين نيفًا ومائتي سنة

ثمَّ تجوَّلنا في انحاء المدينة وسرَّنا ما شاهدناه فيها من حركة السكّان واكثرهم من روم

اليونان وعدد الكاثوليك فيها نحو ١٠٠٠٠ وهم ذوو غيرة وتقى · ومن كنائسها الشهيرة كنيسة القديس يوحنا الحبيب للآباء الكبوشيين فيها اصناف التصاوير والنقوش البهية ومثلها حسناً كنيسة العذراء للآباء الفرنسيسيين · امَّا الكنيسة الكاتدرائيَّة فعلى اسم القديس بوليكربوس اسقف ازمير الشهيد سعى ببنايتها السيد الفضال المطران سباكاپيترا سلف السيد تيموني وهي ايضاً من اجمل الكنائس الكاثوليكيَّة في الشرق · وقد اكتشف في هذه السنين الاخيرة الآباء اللعازريون آثاراً قديمة للنصرانيَّة ترتقي الى القرون الاولى في اياساوق او افسوس في بقعة لهم هنالك وهم يرتأون انها بُنيت ذكراً للعذراء مريم وانَّ والدة الله سكنت ثمَّة ردحاً من حياتها ولعلَّها توفيت هنالك على رأي البعض

سرنا من ازمير الى الاستانة العليَّة نحو الساعة الخامسة بعد الظهر وكانت ريح رخاء ترجّ بنا زجاً فواصلنا السير بين جزائر الارخبيل وعند الغروب لاحت لنا مدلي (متلين) وربُاها المتَّشحة بخضرة النبات ولم تلبث ان اكتست سواحلها بثوب من انوار المصابيح فضلاً عن المنائر لهداية السفن فحاكت نجوم الارض كواكب السماء · وكانت ليلة جليلة تشير الى صباح اجل وانور · كيف لا ودخلنا بعد قليل الدردنيل وهو عبارة عن مضيق طويل بين آسيَّة واوربَّة يدعوه الترك بقاليد البحر · وعلى الضفَّتين مدن وقرى عامرة كبوغاص حصار وخانه قلوسي من جهة آسية وقصر ستوس وغاليبولي من جهة اوربَّة هذا فضلاً عن آثار مدن بائدة احرزت لها شهرة كبيرة قبل المسيح كمدينة ترويا المذكورة في الالياذة ومدينة لمساكي وغيرها · وبوغاص الدردنيل ينفذ الى بحر صغير يعرف ببحر مرمرا (مرمر دكزى) في مدخله يُرى اسطول دولتنا العامر وهو يتركّب من خمس عشرة دارعة على الطرز الجديد

والبواخر تقطع بحر مرمرا في سبع ساعات يرى الناظر في اثنائها جزائر ومدناً ساحليَّة وسهولاً وجبالاً على ضفَّتي آسيَّة واوربَّة وهو يشعر انَّ هذه المناظر كمقدَّمات لما هو ابدع واجمل ولا يزال انتظاره يزداد ورغبته تنمو شيئاً فشيئاً حتى ينكشف امامهُ منظر عاصمة الاريكة العثمانيَّة المهيب فتلوح المدينة مع قصورها الشاهانيَّة ومبانيها العظيمة ومنائرها الشاهقة ومساجدها الباسقة · هذه جزيرة الامراء مع حدائقها الغنَّاء وعيونها النميرة وتلك خلكي واشقدار مع آثارها القديمة ومعاهدها لذوي الثروة ايَّام

الصيف ومن عن شمالك احياء دار السلام كبيرة وغلطة واسطنبول فالعين تتراوح بين هذه المشاهد التي تأخذ بمجامع القلوب فلا تدري ايًّا منها تفضل والباخرة تسير في اثناء ذلك الى الامام لا يقرّ قرارها حتّى تتجاوز قرن الذهب وترسو قريبًا من غلطة

الاستانة العليّة

لا نُسهب في وصف الاستانة وعجائبها وقد سبقنا الى ذلك حضرة الاب بولس جوون فأحسن وصفها في مقالتين ضمَّنهما كلَّ ما يتوق القارئ الى معرفته (راجع المشرق ٢ : ٩٦١ و١٠٣٧) فلا نزيد عليهما إلَّا تفاصيل قليلة فاتت الكاتب البارع

كانت بوزنطية قبل عهد الرومان مدينة صغيرة فجعلها قسطنطين حاضرة ملكه وشاد فيها المباني الجليلة وزيَّنها بالآثار البديعة فدُعيت باسمه قسطنطينيَّة ولم تزل تتوالى عليها الادهار وهي في نموّ وازدهار الى ان صارت عاصمة للخلافة العثمانيَّة بعد ان فتحها فتحًا باهرًا السلطان العظيم الغازي محمّد الثاني سنة ١٤٥٣ . وفي دار السلام آثار عديدة تنبئ بكل اطوار تاريخها من سواري وقصور ومعاهد علميَّة ومصانع ومساجد وبيع يطول بالواصف ذكرها فضلًا عن وصفها ولو لم يكن في الاستانة العليَّة ألّا قصورها ودار عاديَّاتها ومتاحفها لاستحقّت ان تتواردها كبار الرجال وتحطّ عندها الرحال فكيف بها وهي عاصمة الدولة العليَّة وشمسها التي منها تستعير نورها بقيَّة الولايات الشاهانيَّة وحولها تدور افلاك الدوائر السياسيَّة

وممّا تشرَّفنا بحضوره حفلة السلاملك تُعدّ من اعظم المشاهد واوقعها في النفوس. والحق يقال انَّ في هذه الحفلة من الابهة والرونق ما لا ينساه من حظي مثلنا بمعاينته

وممّا سرَّنا الوقوف عليه في دار السلام حركة العلوم وانتشار الآداب. فانَّ السلاطين العظام قد انشأوا في حاضرة دولتهم مدارس ملوكيَّة عليا وكتائب شاهانيَّة يتخرَّج فيها نخبة من الاحداث والشبّان في الطبّ والفقه والعلوم البيانيَّة والمعارف اللسانيَّة والآداب العسكريَّة. وفيها ايضًا مدارس زاهرة لكل الطوائف النصرانيَّة لاسيَّما الكاثوليكيَّة نخصُّ منها بالذكر مدارس الآباء اللعازريين واخوات المحبة في غلطة وبيرة ومدارس الراهبات الصهيونيات ومدارس الفرير الخمس ومدارس الآباء الصعوديين في كوم كپو ومدارس الاخوة المريميين ومدارس الروم الكاثوليك والآباء الكرج والارمن الكاثوليك وقد بلغ عدد طلبة هذه المدارس من ذكور واناث في آخر السنة الحاليَّة ٤٦٤٨ طالبًا .

وللمرسلين الكاثوليك ما خلا المدارس مشروعات خيريَّة ناجحة تنطق بما ينالونهُ من الالتفات السامي والتعطُّفات الممتازة من قبل الحضرة الشاهانيَّة كالميتم والمآوي والمستشفيات والشركات الخيريَّة . ولهم الكنائس الفخيمة في احياء المدينة منها كنيسة الروح القدس الكاتدرائيَّة في بنكلدي وهي عظيمة ذات ثلاث اسواق تمَّ بناؤها سنة ١٨٤٦ وفي السرب الذي تحت الكنيسة متبرة دُفن فيها قومٌ من قدماء المرسلين اليسوعيين الذين ماتوا ضحايا محبّتهم في خدمة المطعونين بين السنتين ١٥٩٥ و١٧٥٦ وفيها ايضاً قبر احد مشاهير اليسوعيين الاب غلوريو الذي مات في خدمة جنود القِرَم سنة ١٨٥٥ ومن الكنائس الشهيرة كنيسة الآباء اللعازريين في غلطة على اسم القديس مبارك ابتناها الملك لويس الرابع عشر كما يستدلُّ على ذلك من كتابة فوق عتبة بابها وفوق الكتابة شعار الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي اقامت فيها الرتب الدينيَّة الى ان قدم الاباء اللعازريون الى الاستانة فقاموا باعمال اليسوعيين بامر الحبر الاعظم . وليس بعيداً من هذه الكنيسة اقدم كنائس الارمن الكاثوليك زرنا فيها قبر الميرِ بشير الشهابيّ المتوفى في الاستانة سنة ١٨٥٠ في شيبة صالحة فقرأنا على ضريحهِ هذا التاريخ .

قد كان صاحبُ هذا القبر ذا شرفٍ ... مدى الزمان رفيعاً غير منخفضِ
لاقى المنيَّة في التسمين متشحاً ... برَّ الفضائل في عمدٍ وفي عرضِ

ومنهُ: فهو الامير الشهابيُّ البشير ومن ... غير العلى لم يكن يرتادُ من غرضِ
قضى فاظلمت العليا مؤرخةً ... أما البشير شهاب في الجنان يضي

وفي غلطة ايضاً كنيسة الرسولين بطرس وبولس من الكنائس المعدودة يتولَّى امرها الآباء الدومنيكيُّون ولهم ايضاً في مكري كوي كنيسة أُخرى جديدة على اسم سيدة الورديَّة . امَّا الآباء الصعوديون فيسكنون كادي كوي ولهم فيها كنيسة واسعة على اسم انتقال العذراء وهناك مدرسة لرهبانهم ومركز لكتبتهم الذين اشتهروا بالتآليف النفيسة منها مجلَّتهم المعروفة باصداء المشرق المشحونة بالفوائد الجمَّة في كلّ المباحث الشرقيَّة . وفي الاستانة للآباء الكبوشيين الايادي البيض في تثقيف الاكليريكيين الشرقيين وخدمة النفوس وهم الذين يتولَّون ادارة كنيسة السفارة الفرنسويَّة في الاستانة العليَّة فيواصلون بذلك ما لهم من سوابق الخدمات لنصارى دار السلام

وعلى مقربة من هذه الكنيسة في حيّ بيرة كنيسة الآباء الفرنسيسيين على اسم

البتول فيها صورة عجائبيّة للعذراء مريم يكرّمها نصارى الاستانة من كل الطوائف . ومدّة اقامتنا في العاصمة كان هؤلاء الرهبان يجدّدون بناء ديرهم على طرز متقن

وفي زقاق قريب من بيرة دير صغير يسكنهُ الآباء اليسوعيون ينقطعون فيهِ لخدمة النفوس بالرياضات الروحيّة والوعظ وادارة الاعمال التقويّة

وكلُّ هذه المشروعات وكثير غيرها تحت نظارة قاصد رسولي وكان اذ ذاك الطيّب الذكر السيد بونتي من الجمعيّة اللعازريّة كنّا نسمع الكلّ يلهجون بمدحهِ وقد اصاب من الحظوى لدى الباب العالي ما لم يصبهُ غيرهُ . وما كنّا لنظنّ انهُ تعالى ينقلهُ بعد شهر الى دار كرامتهِ فيعاجل جزاءهُ . وقد صار احتفال عظيم لمأتمهِ في دار السعادة وأبّنهُ فيها ابلغ تأبين رئيس الآباء اليسوعيين

وفي اثناء مقامنا في الاستانة انتهى ترمّل الكنيسة الارمنيّة الكاثوليكيّة بانتخاب السيد الجليل بولس صبّاغيان اسقف الاسكندريّة الى الرتبة البطريركيّة فكان لهذا النبإ الخطير رنّة من الفرح تردّد صداها في كل انحاء الممالك المحروسة وقد اعلنت الحضرة الشاهانيّة رضاها بذلك كما ان الحبر الاعظم سُرَّ بهِ وهنأ المنتخب برسالة برقيّة ومنحهُ الدرع المقدّس كفعلهِ مع سلفهِ المثلّث الرحمات

وقد سرّنا ايضاً ونحن في الاستانة ما نالهُ من تعطُّفات السلطان الاعظم وجميل رعايتهِ بطريركان كاثوليكيان آخران وهما غبطة السيد عمّانوئيل توما بطريرك الكلدان بنسبة يوبيلهِ الكهنوتي وغبطة السيد كيرلّس جحا بطريرك الروم الملكيين فشرّفتهما الذات الشاهانيّة بالاوسمة الرفيعة الشان واعربت عن ارتياحها السامي لخلوص تعلّق طائفتهما بالاريكة العثمانيّة

وممّا سرّحنا النظر في كنوزه الادبية خزائن الكتب الشرقية المخطوطة وهي متفرّقة في انحاء العاصمة موقوفة على نيف واربعين جامعاً اهمّها مكتبة ايا صوفيا ومكتبة نوري عثمانية ومكتبة السلطان محمد الفاتح ومكتبة السلطان بايزيد ومكتبة ضاد باشا وقد سعت نظارة المعارف الجليلة في تدوين اسماء مخطوطات هذه المكاتب ولعلّها تجمعها في مكان واحد ليقرب منالها على الطالبين فاذا جُمعت بلغ عدد هذه المخطوطات نحواً من ثلاثين الف تأليف القسم الاكبر منها في العربيّة ثمّ في التركيّة والفارسيّة وبعضها باليونانيّة . وقد حظينا بالدخول في بعض هذه المكاتب ولقينا لدى نظّارها رعايةً ولطفاً

اوجب علينا شكرهم كما نشكر ادارة المعارف السنية على حسن التفاتها · وقد لقينا بين هذه المخطوطات كتبًا نادرة قديمة منها كتاب النبات لديوسقوريدس عرَّبهُ حنين بن اسحاق مع تصاوير دقيقة ملوَّنة لاشكال النبات وكتاب نقائض جرير والاخطل لابي تمَّام وكتاب التذكرة الحمدونيَّة ونسخًا قديمة مصوَّرة لكتاب كليلة ودمنة وبعض دواوين قديمة كديوان المتلمس وديوان سلامة بن جندل وابي ذؤيب الهذليّ · ومن هذه المخطوطات ايضًا تآليف نصرانيَّة اخصُّها نسخ من الاسفار المقدَّسة والاناجيل الطاهرة في العربيَّة · ومنها مصنَّفات يونانيَّة جُمعت في متحف الاساحة وكان احد علماء فيَنَّة وهو الاستاذ رودوكاناكيس يكتب قائمتها في هذه المدَّة بامر جلالة السلطان الاعظم

وممَّا يدلُّ ايضًا على ترقّي الاداب في دار السلام كثرة المطابع والجرائد والمنشورات واخصُّ مطابعها الوطنيَّة المطبعة العثمانيَّة التي انشأها عثمان بك وهي حافلة بالآلات تامَّة الاهبَّة ينيف عدد عملتها على المئتين · وقد اشتهرت ايضًا سابقًا مطبعة الجوائب · امَّا الجرائد والنشرات فتنيف على العشرين اشهرها في التركيَّة طريق وصباح وترجمان حقيقت ومنها في اللغات الاوربيَّة كبشير الشرق (Levant Herald) في الانكليزيَّة والفرنسويَّة واسطنبول (Stamboul) بالفرنسويَّة · وللروم والارمن جرائد خاصَّة في لغاتهم · وقد بيَّنا في مقالتنا عن تاريخ فنّ الطباعة في الشرق (المشرق ٣ : ١٧٤) ان دار السلطنة سبقت غيرها من حواضر الشرق في هذا الفنّ الجليل

وقد زرنا في الاستانة العليَّة بعض الآثار اليونانيَّة اوَّلها الفنار وفيهِ مقام بوياكيم الثالث بطريرك الاورثذكس · وهناك الكنيسة التي فيها الكرسي البطريركيّ وهي متوسطة الكبر على طرز يخالف نوعًا هندسة الكنائس اليونانيَّة وممَّا شاهدنا فيها جثَّتي ملكتين تُكرمان كالقدِّيسات وهما في تابوتين مزيَّنين يفتحهما كلُّ من شاء النظر اليهما واحدى الجثتين تقلَّص عليها جلدها ولم يتلفها الفساد · وكان وقع يوم زيارتنا للفنار بين السيد البطريرك وجماعتهِ اختلاف وقد افاد البشير الاخير نقلًا عن صحف الاستانة انَّ دولتلو فخامتلو الصدر الاعظم بعد قرار وكلاء الدولة حكموا للبطريرك ورفضوا دعوى المخالفين

ومن هذه الآثار صورة قديمة للبتول العذراء يزعمون انها الصورة العجائبية التي كانت في كنيسة بلاكرناس الملكية · والروم يبالغون في اكرامها ويشربون من ماء يجري قريبًا

من مقاما طلباً للشفاء من العاهات وكذلك زرنا في القاهرية التصاوير الجميلة التي اكتُشفت هناك منذ نحو ثماني سنوات وهي كلها بالفسيفساء المتقنة الصنع البهية الالوان ترتقي الى القرن الحادي عشر وتمثل حياة السيد المسيح ووالدته العذراء مريم يجد فيها الناظر ملخَّص عقائد الدين النصراني مع ادلَّة باهرة على صحَّة تعاليم الكنيسة الكاثوليكية كرئاسة بطرس الرسول وبتولية القديس يوسف وغير ذلك مما يستدعي شرحاً مطوَّلاً .

هذا برضٌ من عدّ ووشل من بحر سطَّرناه اشارة الى غنى الاستانة العليَّة بالآثار محيلين القرَّاء الى مقالتي الاب جوون السابق ذكرهما . ونتمنَّى لو ساقت الحميَّة بعض ادباء دار السلام الى ان يجمع في كتاب مفصَّل ما تحويه عاصمة الممالك المحروسة من الآثار الجليلة . فلا شكَّ ان الادباء من كل الامم يقبلون على كتاب كهذا اقبالاً عظيماً لا سيَّما اذا زيِّن بالتصاوير الفوتغرافيَّة والرسوم المختلفة

وكان وداعنا لدار السلام في مساء اليوم العاشر من شهر آب في القطار الدولي المعروف بقطار الشرق (Orient Express) يسير من المحطَّة القريبة من الكوبري العظيم الذي يجمع بين ضفتي غلطة واسطنبول . (البقيَّة للآتي)

المخطوطات العربيَّة في خزانة كليَّتنا الشرقية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

اعمال الآباء (تابع الصفحة ٦٧٦)

(العدد ٤٦) مجموع صغير الحجم طوله ١٥ س في عرض ١١ س مجلَّد تجليداً شرقيّاً بجلد وورق منقوش صفحاته ١٥٨ ص وفي كل صفحة ١٣ سطراً في اوَّله (١—٢٧) « كتاب الفاظ الاب القديس غريغوريوس المتكلّم في اللاهوت عن الاشياء المخلوقة » وهو غير كامل يحتوي عدَّة تشابيه بين الحيوانات والانسان هذا مثال منها (ص ١٠) :

« ذكروا عن عنز الجبل انها شديدة الحذر من الصيَّادين ولها قرنين (كذا) مثل المناشير حتى تنشر جم (كذا) الشجر فاذا عطشت ومضت لتشرب وكان الموضع الذي فيه دغل واشجار كثيرة

فتملّق قرونها فاذا عرفت انها قد علقت صاحت باعلى صوتها فيسمعوا الصيادين (كذا) ويعلمون انّها قد علقت فيسارعون اليها اذًا ويتناولونها . وربّما انهم احرقوا جسمها لاجل منفعة عظمه (ص ١١). فاحذر ايها الانسان من الوقوع في يد الصيادين اي الشياطين الذين هم صيادين (كذا) الناس لئلّا يمسكك شيئًا (كذا) من اغصانهم اي الاعمال الرديئة كما مسكت تلك الاغصان والدغل تلك الدابّة كذلك الدغل والاغصان قد شُبّهوا بالاعمال الرديئة »

امّا نسبة هذه الالفاظ للقديس غريغوريوس اللاهوتي فلا نعرف ما فيها من الصحّة لأنّنا لم نجدها في مجموع اعماله اليونانيّة التي نشرها الاب مين . وفي هذا الكتاب الذي نصفهُ صلوات وقصائد دينيّة وافادات تاريخيّة منها (ص ١١٥—١٣١) جدول الممالك التي تحت حكم البيعة الرومانية مع ذكر بطاركتها واساقفتها وبلادها ومدنها وديورتها . وفي الصفحة (١٣٧ الى ١٤٥) اوراق تابعة لالفاظ القديس غريغوريوس السابق ذكرها . والكتاب مخطوط من نحو١٥٠ سنة في اوّلهِ انهُ ملك المقدسي انطون بن الياس اللاذقاني (دخل في ملكهِ سنة ١٨١٦ كما ورد في آخره) وانهُ « اوقفهُ بعد رقاده على روحهِ الى الخوية الجوزيين »

(العدد ٤٧) كتاب مجلّد تجليدًا اوتخيًا حديثًا بجلد اسود وورق بنفسجيّ طولهُ ٢١ س ونصف وعرضهُ ١٦ س مخطوط بخط عادي نضر بحبر اسود الّا فصولهُ المخطوطة بالاحمر . صفحاتهُ ٢٦٠ وفي الصفحة ٢٣ سطرًا وليس لهذا الكتاب تاريخ الّا انّ ورقهُ وجنس كتابتهِ يدلّان على كونهِ خُطّ في اوائل القرن الثامن عشر وجدناه في دمشق في مكتبة ديرنا . وهو يتضمّن تأليفين للقديس يوحنا كليمكوس رئيس طور سينا في اواخر القرن السادس للمسيح: (الاوّل) كتاب سلّم الفضائل الذي قسمهُ مؤلّفهُ الى ٣٠ مقالة او درجة يرتقي المسيحي بممارستها الى السماء . وفي اوّل الكتاب سيرة القديس يوحنّا للانبا دانيال الراهب (راجع مجموع الآباء اليونان لمين ج ٨٨ ص ٥٩٧). يليها (ص١٠—٢٣٦) الكتاب وهو معرّب بتدقيق الّا انّ في عربيّتهِ ركاكةً . امّا اصلهُ في اليونانيّة فشهير لا حاجة الى وصفهِ (راجعهُ في مجموع الآباء لمين ج ٨٨ ص ٦٣١—١١٦٤) . (والكتاب الثاني) لهُ ايضًا يتضمّن رسالة كتبها القديس للرُعاة وهي خمسة عشر فصلًا في واجبات الرؤساء نحو مرؤوسيهم . وترجمتنا العربيّة ليست تامّة قد وقع منها في آخرها صفحة واحدة كما يظهر بالمقابلة مع الاصل اليوناني (مين ج ٨٨ ص ١١٦٥—١٢٠٨)

(العدد ٤٨) كتاب قديم مجلَّد تجليدًا بلديًا بجلد اسود ومقوّى طولهُ ٢٧ س في عرض ١٨ س عدد صفحاته ٣١٢ وفي الصفحة ١٩ سطرًا وهو مخطوط بخط كنسي شرقي يمكن توقيتهُ الى القرن السادس عشر باعهُ في حمص الشمّاس نجيب دمعه سنة ١٩٠٢ وقد سقط من اوّله ونصفه بعض صحائف · وعنوان الكتاب في صدره بخط حديث « كتاب البستان في احاديث الآباء القديسين والرهبان » وهو يوافق ما جاء في المجموع المعروف بسيرة الآباء وبكتاب المرج الروحيّ للقديس مسكوس في النصف الاوَّل من القرن السابع · وهو يبتدئ (ص ٥—٢٢) بقصَّة الراهب ثاوفيلوس الذي ارتدَّ الى خدمته تعالى بشفاعة البتول بعد ان اغواهُ الشيطان فاضلَّهُ · ويليهِ (ص ٢٥—٥٠) ثلثون خبرًا من اخبار النسَّاك ورد اكثرُها في سيرة الآباء . (راجع اعمال الآباء اللاتين لين ج ٧٤ ص ١٦٣—٢٠٠) · ثمَّ يأتي بعدها (ص ٥١—١٠١) قصص اخرى بعدد خمسين تُنسب في اوَّلها للقديس انسطاسيوس رئيس طور سينا وقال الكاتب « انها كانت في زمانهِ وعاينها بذاتهِ » ولم نجدها في جملة اعماله اليونانيَّة الَّا انهُ يشار اليها في المقدّمة (راجع اعمال الآباء اليونان لين ج ٨٩ ص ٢٦ ع ١٨ وراجع ايضًا Dom Ceillier: vol. XI. 609) · ثمَّ يتلوها (ص ١٠٢—١٢٣) « وصايا الاب القديس شعيا من رهبان القرن الرابع وضعها للشبَّان المبتدئين في الرهبانيَّة (راجع اعمال الآباء اليونان ج ٤٠ ص ١١٠٠—١٢١٤) وبين نسختنا والاصل اختلافات عديدة · ثمَّ (ص ١٢٣—٢٥٠) اقوال للقديس برصنوفيوس ولشيوخ من النسَّاك · ثمَّ اخيرًا اخبار مختلفة للقديس انسطاسيوس رئيس طور سينا (٢٥٠—٣١٢) وهذه كلُّها ليست مثبتة في اعمال الآباء لين فُقد اصلها وتستحق الطبع

(العدد ٤٩) كتاب حديث التجليد مجلَّد بجلد وقماش اسودين طولهُ ٢١ س في عرض ١٥ س وهو مكتوب على ورق صفيق وبخط كنسيّ جليّ الحرف كُتب بحرف اسود الَّا فصولهُ · صفحاتهُ ١١٥ وفي الصفحة ١٩ سطرًا جاء في آخرهِ : « تمَّ الكتاب بعون الملك الوهَّاب على يد افقر العباد الى المنان عبدالله ولد لطف الله الحمصي وذلك في ختام شهر اذار سنة ١٧٢٦ مسيحيَّة ومضمون الكتاب منطق وفلسفة القديس يوحنَّا الدمشقيّ في ٥٣ بابًا تتقدَّمها رسالةُ الى قزما اسقف ميومة · واوَّل ابواب الكتاب « في الموجود من الجوهر والعرض » يبحث عن كل اقسام الفلسفة

النظريَّة لا سيَّما المقولات العشر وما وراء الطبيعة · وهو كتاب معروف تجد اصلهُ اليوناني في مجموع اعمال القديس (راجع اعمال الآباء اليونان ج ٩٤ ص ٥٢٢—٦٧٦) وعدد ابوابهِ في اليونانيَّة يختلف لبعض زيادات موجودة في النسخ · وتعريبهُ حسن ونظنُّ ان معرّبهُ عبدالله بن الفضل الانطاكي في القرن العاشر · والكتاب كان في مكتبة ديرنا في دمشق

(العدد ٥٠) نسخة ثانية من فلسفة ومنطق القديس يوحنَّا الدمشقي · وهو كتاب مجلد تجليدًا بلديًّا وورق مقوًّى منقوش · طولهُ ٢١ س وعرضهُ ١٦ س وعدد صفحاتهِ ٨٢ وفي كل صفحة ٢١ سطرًا خطٌّ بخط كنسي معتدل وحبرهُ اسود الَّا فصولهُ · وتعريبهُ لا يختلف عن النسخة السابقة الَّا لأنَّ رسالة القديس الى اسقف ميومة لم تدوَّن في مقدمتهِ · وفي اخره ما نصُّهُ : «تمَّ الكتاب بعون الملك الوهَّاب بيد احقر عباده موسى ابن بهنا نشال في يوم ١٠ ك ٢ وهو بيده لنفسهِ سنة ١٧٣٣ مسيحيَّة» وفي ذيل هذا التاريخ : «من به البارئ تعالى على عبده الخاطئ الفقير انطون ابن الشمَّاس نعمة الله خوري توما الكاتب في اذار سنة ١٧٦٢» بيع في سنة ١٨٩٤

(العدد ٥١) كتاب مجلد في مطبعتنا برق ابيض ومقوًّى اسود منقوش طولهُ ٢٢ س وعرضهُ ١٦ س عدد صحائفه ٢٠١ وصفحاتهُ ٤٠٢ لكلِّ صفحة ٢١ سطرًا كُتب بخط عادي حسن حبرهُ اسود الَّا فصولهُ كان سابقًا في مكتبة دير رهبانيتنا في دمشق وهو يتضمَّن اسفارًا عديدة للقديس يوحنَّا الدمشقي وهي : ١° منطقهُ وفلسفتهُ (ص ١—٨٣) كالتعريب المتقدم وصفهُ في العددين السابقين دون المقدَّمة التي في العدد ٤٩ وفي اخره (ص ٨٣) «ان هذا الكتاب نقل رافائيل مخائيل الشهير بكتابة الطرنخانة في سادس يونه من سنة ١٧ (كذا) مسيحيَّة» امَّا بقيَّة المقالات فقد كُتبت بخط الشمَّاس جرجس. ٢° كتاب الامانة المقدَّسة (ص ٨٤—٣٩٠) وهو كتاب جليل في مئة باب يحتوي مختصر العقائد النصرانيَّة على طريقة علميَّة واصلهُ اليونانيّ في مجموع اعمال القديس (راجع مين ج ٩٤ ص ٧٨٤—١٢٨٤) ونظنُّ انَّ معرّبهُ هو ايضًا عبدالله بن الفضل الانطاكي · وفي نسختنا قد صدَّر الكاتب هذا التأليف برسالة القديس يوحنَّا الدمشقي الى قزما (ص ٩٤—١٢٨) وهي غير الرسالة المذكورة في العدد ٤٩ ضمَّنها القديس نظرًا عموميًّا في الامانة المقدَّسة وهذه المقالة اثبتها لوكيان

باللاتينيَّة في مجموع اعمال القديس (راجع مين ج ٩٥ ص ٤١٨–٤٣٨) امَّا الاصل اليوناني فقد فُقد امَّا التعريب فمن الاصل اليوناني المفقود. وبعد هذه الرسالة (ص١٢٨–١٣٤) مقالة في اكرام الايقونات لم نجدها في اعمال القديس اليونانيَّة وهي غير كاملة تبتدئ بقوله: «ينبغي لنا نحن ان نصوّر آلام المسيح الاهنا الخ» ويليها مقالة للقديس ردًّا على النساطرة (ص ١٣٥–١٥٥) اوّلها: «قد وجب علينا الذين استخلصنا الاهنا بابنهِ الوحيد الذي بذلهُ فديةً من اجلنا ان نؤمن على حذو قول ربنا بالآب والابن والروح القدس الاهًا واحدًا الخ» ولم نجدها ايضًا في مجموع اعمال القديس اليونانيَّة. ثمَّ تأتي بعدها الفصول المئة في الامانة المقدَّسة. وفي نهاية الكتاب (ص ٣٩٢–٤٠٣) ترجمة القديس يوحنَّا الدمشقي نُقلت عن سيرتهِ اليونانيَّة المثبتة في صدر مجموع اعماله (مين ٩٤ ص ٤٣٠) وهي غير كاملة تنتهي في خبر سيامتهِ كاهنًا

(العدد ٥٢) كتاب صفيق الورق ناقص الاوَّل والآخر مجلَّد بجلد اسود منقوش متين طولهُ ٢١ س وعرضهُ ١٥ س صفحاتهُ ٤٩٢ وفي الصفحة ١٧ سطرًا وهو مكتوب بحرف غليظ من نحو مئة سنة. يتضمَّن كتاب الامانة المقدَّسة السابق وصفهُ قبل هذا العدد بالتعريب نفسهِ الّا انهُ قد سقط من اوّله واخرهِ ووسطهِ عدَّة صحائف. والكتاب قد باعهُ في حمص الاديب الشماس نجيب دمعه الحمصي سنة ١٩٠٢

(العدد ٥٣) كتاب مغلَّف حديثًا يحتوي طولهُ ٢٠ س في عرض ١٥ س صفحاتهُ ٧٧ وفي الصفحة ٢١ سطرًا. مخطوط بخط كنسي عادي في اواسط القرن الثامن عشر بيع في حلب منذ ثلاثة اشهر وهو مجموع مقالات اوّلها (١–٢٨) ملخَّص في عقائد الايمان يدعوه الكاتب «تصنيف الامانة وايضاحها» وهي المقالة التي وردت في العدد ٥١ قبل كتاب الامانة المقدَّسة والتعريب واحد. ثم يليها (ص ٢٩–٣٥) المقالة عن اكرام الصور الواردة في العدد نفسهِ. ثم (٣٧–٣٨) شرح مشكل كتابي في زمن اقامة المسيح في القبر. ثم يتلوها (ص ٣٩–٥٥) «رسالة الجليل في القديسين ديونيسيوس قاضي مجلس العلماء الى ديوفيلس في مراعاة الكنيسة» وهذه الرسالة وردت بين الاعمال المنسوبة للقديس ديونيسيوس في مجموع الاباء اليونان لمين (ج ٣ ص١٠٨٣–١١٠٠). ثم يعقبها (ص ٥٥–٧٥) عدَّة رسائل «للشيخ الرئيس ابي الفتح عبدالله

ابن الفضل الانطاكي » يأتي وصفها في بابها. والكتاب ينتهي (ص ٧٥—٧٧) بكلام « للقديس ديونيسيوس في الخير والشر » بايجاز (راجع مين ج ٣: ص ٧١٥—٧٣٥) (العدد ٢٨) سبق لنا وصف هذا الكتاب وما يتقدّمهُ من كتاب الجامع وفيه ايضًا تآليف عديدة للآباء دونك وصفها: اوّلًا (ص ١٩—٢١) « الامانة الصحيحة في تحديد الجوهريّة لبروتوس المعلم صاحب ديونيسيوس الاروباجيتس » لم نجد لها ذكرًا في اعمال الآباء اليونان. ثانيًا (٢١—٢٣) « الامانة التي اثبتها ديونيسيوس الاروباجيتس المتكلّم بالالهيّات وناظر سرّ السماويّات ». لم تُروَ في اعمال القديس المنسوبة لهُ. وبعدها (٢٤—١٥٧) قوانين السليحيين واعمال الجامع الموصوفة سابقًا. ثمّ ثالثًا (ص ١٥٨—١٦١) « مقالة القديس يوحنّا الدمشقي في الثلث تقديسات Trisagion » غير المثبتة في اعماله اليونانيّة وتلك مطوّلة امّا هذه فقصيرة. ثمّ رابعًا (ص ١٦٢—٢٧٦) « مقالة للقديس صفرونيوس فيما اجتمعت عليه الجامع المقدّسة وفي تثبيت الامانة » منقولة الى العربيّة كما نرجح بهمّة عبدالله بن الفضل الانطاكي. وهذه المقالة تحتوي اخصّ امور الايمان في ٢٨ بابًا امّا اصلها اليوناني فمفقود لم نجد لهُ اثرًا في اعمال القديس صفرونيوس التي نشرها مين (ج ٨٧ ص ٣١١٥). ثمّ خامسًا (ص ٢٧٧—٣٠٩) كتاب « تصنيف الامانة للقديس يوحنّا الدمشقي » التي سبق وصفها في العددين ٥١ و ٥٣ . ثمّ سادسًا (ص ٣٠٩—٣٦١) مقالة للقديس يوحنّا المذكور ردًّا على مقالة اليعقوبيين » وهذه النبذة تجدها في اعماله اليونانيّة (مين ج ٩٤ ص ١٤٣٥—١٤٨٦) . ثمّ سابعًا (ص ٣٦٢—٣٨٢) مقالة لهُ في الطبيعتين وردت في مجموع اعماله (مين ج ٩٥ ص ١١١—١٢٦) وفي نسختنا زيادات وشروح ليست في الاصل اليوناني. ثمّ ثامنًا (٣٨٣—٣٩٧) « اقاويل الآباء القديسين في موت الابن بتحقيق رأي الارثذكسيّة » وهو ردّ على اليعاقبة لم يُذكر مؤلّفهُ. ثمّ تاسعًا (٣٩٨—٤٥٧) « شرح المناظرة التي جرت بين بيروس بطريرك القسطنطينية والقديس مكسيموس الراهب بحضرة البطريق الشريف ». وهذه المقالة واردة في اعمال القديس مكسيموس (راجع مين ج ٩١ ص ٢٨٧—٣٥٤) . وفي آخرها انهُ قوبل بالنسخة الاصلية » وهو من نسخة مكتتبة من دستور ترجمها عبد الله بن الفضل بن عبد الله الشمّاس الانطاكي. ثمّ عاشرًا (٤٥٧—٤٦٦) « المجادلة التي جرت ما بين نسطوريوس المخالف والقديس كيرلّس رئيس اساقفة

الاسكندريّة » في انَّ مريم العذراء والدة الاله تجدها في الاصل اليوناني في مين (ج ٧٦ ص ٢٤٩ـ ٢٥٤) . ثم حادي عشر (٤٦٧ـ ٤٨١) « نصوص مختلفة للآباء كاثناسيوس وغريغوريوس اللاهوتي وغريغوريوس نيسس ويوحنا فم الذهب في تفنيد الابوليناريين والقانايين بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة والفعل الواحد. ثم ثاني عشر (٤٨١ـ٤٩٦) « رد على اليعاقبة اصحاب الطبيعة والمشيئة رد سعيد ابن بطريق المتطبب المعروف بابن الفرّاش الذي كان بطريركًا على الاسكندريّة صاحب كتاب التاريخ ». ثم ثالث عشر (٤٠٦ـ٥٠١) شرح موجز في الامانة من قول الآباء القديسين. ثم رابع عشر (٥٠٢ـ٥٩٩) ثمَّ حدود شتَّى وردود مختلفة على النساطرة واليعاقبة نقلًا عن الآباء. ثمَّ خامس عشر (٥٦٠ـ٥٦٦) « قول موجز لكيرلُّس بطريرك الاسكندريّة في انَّ البتول القديسة مرتمريم والدة الاله (راجع مين ج ٧٦ ص ٢٥٤ ـ ٢٩٢). ثمَّ خامس عشر (٥٦٧ـ٦٠٠) مقالة يوحنَّا الطبيب المعروف بابن سعدون في القربان المقدَّس والخمير وفي آخره (٦٠١ـ٦٢٢) فوائد وابيات شعريّة وامثال شتَّى كُتبت بخط حديث لا طائل تحتها (ستأتي البقية)

مقالة في المنطق

لاسعد ابي الفرج هبة الله بن العسال

عني بنشرها وتعليق حواشيها حضرة الاب خليل اده اليسوعي (تتمّة)

التناقض

التناقض اختلاف قضيتين في السلب والايجاب بحيث يُقتضى لذاته ان يكون احدهما صادقًا والآخر كاذبًا امَّا بعينهِ (١ كما في الواجب والممتنع والممكن الماضي

١) كذا في الاصل والصواب « ان تكون احداهما صادقة والاخرى كاذبة امَّا بعينها . . او بغير عينها ». الضمير عائد على احدى القضيتين وهكذا ورد التعريف في « تحصيل جمنيار » ومعناه انهُ ليس من شروط التناقض تعيُّن الصدق او الكذب في احدى المتقابلتين بل يكفي ان يستنتج صدق احداهما او كذبها من كذب الاخرى او صدقها. مثال ذلك الممكن المستقبل كما في قولك: بطرس غدًا يكتب او بطرس غدًا لا يكتب. فالصدق لا يتعيَّن لا في القضية الاولى ولا في الثانية ولكن ان افترضنا الاولى او الثانية صادقة فالاخرى كاذبة لا محالة وهذا يكفي ليقال عنهما انهما متناقضتان

والمكن الحاضر او بغير عينه كما في المكن المستقبل اذ لو تعيَّن احد الطرفين للوقوع لخرج عن الامكان ولبطل الاختيار. وهذا بالنظر الى ذاته امَّا بالنظر الى السبب فالتعيّن ليس الَّا واجبًا

(شرح) (١ الهاء في ذاته عائدة على الاختلاف وقولهُ لذاته احترازًا من العوارض الكليتين (٢ وصدق الجزئيتين. والهاء في « عينه » عائدةٌ ايضًا على الاختلاف

شروط التناقض وهي ثمانية

ثمَّ القضيَّة ان كانت مخصوصة كفى في التناقض وحدة الموضوع ويندرج فيها وحدة الشرط والجزء والكل ووحدة المحمول ويندرج فيها وحدة المكان والاضافة (٣ والقوَّة والفعل ووحدة الزمان. ثمرة هذا الاصل ان يعلم انَّ كل قولٍ خالف قولًا آخر او غايرهُ او كانا متفاوتين او متقابلين او كان احدهما اولى من الآخر او كان الواحد حقًّا والآخرُ باطلًا ولم يتميَّز بينهما شروط التناقض لم يكونا متناقضين. مثال وحدة الموضوع: زيدٌ كاتبٌ زيدٌ ليس بكاتبٍ. فالموضوع فيهما واحد وهو زيدٌ ويندرج فيها وحدة الشرط والجزء والكل (الهاء في « فيها » عائدة على وحدة الموضوع) ووحدة المحمول بالقوَّة ايضًا فيهما واحد

وان كانت محصورة وجب الاختلاف ايضًا في الكمّ (٤ لانَّ الكليَّتين قد تكذبان كقولنا: كل موجود ممكن (٥ ولا شيءٌ من الموجود بممكن. والجزئيتان قد تصدقان كقولنا: بعض الموجود ممكن وبعض الموجود ليس بممكن. وان اختلفا في الكم اقتسما الصدق والكذب كقولنا: كل موجود ممكن بعض الموجود ليس بممكن. ولمَّا امتنع

---

١) لا نرى ان « الشرح » وان كان في المتن من كلام ابن العسال (راجع الحاشية السابقة)

٢) كذب الكليتين كقولنا: كل موجود ممكن ولا شيءٌ من الموجود بممكن. وصدق الجزئيَّين كقولنا: بعض الموجود ممكن وبعض الموجود ليس بممكن. (كذا في الهامش بخط مختلف عن خط المتن)

٣) « الاضافة كما تقول: العشرة اكثر اي بالقياس الى التسعة. واقل اي بالقياس الى احد عشر « جمنيار »

٤) اعني في الكليَّة والجزئيَّة

٥) المقصود من الامكان هنا الامكان الخاصّ فمعنى قولهِ « ممكن » هو انهُ غير واجب الوجود ولا ممتنع وقد اطلقنا عليهِ لفظة « اللاضروري »

تحقّق التناقض الّا مع وحدة الزمان وكان في تحقيقها عسر افردنا كل واحدة من القضايا بالذكر

امّا المطلقة العامّة (١ فلا يناقضها شيء من نوعها لانها محتملة اللادوام فبتقدير ان تكون المادّة ذلك (٢ لم تحقّق المنافاة بين السلب والايجاب لاحتمال ان يكون زمان احدها غير زمان الآخر بل لا بدّ من اعتبار قيد الدوام في بعضها لانّ السلب الدائم ينافي الايجاب دام او لم يدم. ثم الدوام قد يكون ضروريًا وقد لا يكون ولا يجوز ان يعتبر احد هذين القيدين في نقيض هذه المطلقة لصحّة اجتماع المطلقة مع كل واحد من القيدين على الكذب عند ما يكون الصادق القسم الآخر. فثبت وجوب اعتبار قيد الدوام في نقيض هذه المطلقة وكما انّ المطلقة العامة لا يناقضها شيء من انواعها فكذا غيرها من القضايا لا يناقضها شيء من انواعها لصحّة اجتماعها على الكذب عند ما يكون الصادق ما يخالفها في الجهة بل الذي يناقضها هو الذي يخالفها في الكم والكيف والجهة جميعًا

ثم اعلم انّ القضايا تنقسم الى ما يكون ذا جزء واحد وهو الذي يتعرّض فيه الى السلب ولا الى الطرفين جميعًا كالممكنة العامة والمطلقة العامة والدائمة والعرفيّة العامّة والضروريّة المطلقة والمشروطة العامة (٣ والى ما يكون ذا جزءين وهو الذي يتعرّض فيه للطرفين جميعًا كالممكنة الخاصة المتعرّض فيها لارتفاع الضرورة عن الجانبين جميعًا. او طرف السلب كالخاصيتين والوقتيتين والوجوديتين. فنقيض القسم الاول ذو جزء واحد وهو المخالف له في الكم والكيف والجهة جميعًا. ونقيض القسم الثاني ذو جزءين وهو الموافق في الكيف والمخالف له في الجهة او المخالف له في الكم والكيف والجهة جميعًا. ونقيض الممكنة العامة الضروري المخالف لها في الكم والكيف والجهة كقولنا: بالضرورة بعض النار ليس بحارّة. ونقيض الممكنة الخاصة (٤ انها ليست كذلك بل الصادق امّا الضروري الموافق او المخالف كقولنا: بالضرورة بعض الذهب ليس بذائب. او:

---

١) مثلًا: كل جسم مؤلف بالاطلاق العام (المشرق ٨١٧،٨١٨). وامّا قوله « انها تحتمل اللادوام » فكمثل: « لا شيء من المسكر بعنب » بتقدير: « لا دائمًا بل ما دام مسكرًا » (٨١٨)

٢) اي اللادوام في الفعل. وامّا تعريف المادة فقد سبق ذكره ص٨١٧ في الحاشية

٣) (المشرق ص ٨١٧ وما يليها) ٤) في الاصل: العامّة وهو تصحيف

بالضرورة بعضهُ ذائبٌ ونقيض الدائمة (١ المخالفة لها كقولنا : بعض الفرس ليس بصهّال دائماً . ونقيض المطلقة العامة المخالفة لها كقولنا : بعض الجسم ليس بمؤلف بالاطلاق العام . ونقيض العرفيَّة العامة المخالف لها في بعض اوقات الوصف كقولنا : بعض الحيوان ليس بحسّاس حين هو حيوان بالاطلاق العام . ونقيض العرفية الخاصة انها ليست كذلك بل الصادق امّا المخالف لها في بعض اوقات الوصف او الموافق الدائم كقولنا : بعض المسكر عنب حين هو مسكر بالاطلاق العام وبعضهُ ليس بعنب دائماً . ونقيض الوجودية اللادائمة انها ليست كذلك بل الصادق . اما الموافق الدائم او المخالف كقولنا : لا شيء من الانسان بضاحكٍ بالفعل دائماً . ونقيض الضروريَّة المطلقة الممكنة العامة المخالفة لها في الكم والكيف كقولنا : بعض الجسم ليس بممكن بالامكان العام . ونقيض المشروطة العامة المخالف لها في بعض اوقات الوصف كقولنا : بعض الكاتب ليس بمتحرك حين هو كاتب بالامكان العام . ونقيض المشروطة الخاصة انها ليست كذلك بل الصادق امّا المخالف الرافع للضرورة عن ذلك الوقت المعيَّن او الموافق الدائم كقولنا : بعض القمر ليس بمنخسف وقت حيلولة الارض بينهُ وبين الشمس بالامكان العام . او : بعضهُ منخسف دائماً . ونقيض المنتشرة انها ليست كذلك بل الصادق امّا المخالف الرافع للضرورة عن جميع الاوقات او الموافق الدائم كقولنا : لا ضرورة في تنفس الانسان في شيء من الاوقات اصلاً والبتَّة . او : بعض الانسان متنفسٌ دائماً . ونقيض الوجوديَّة اللاضروريَّة انها ليست كذلك بل الصادق امّا المخالف الدائم او الضروري الموافق كقولنا : بعض الكاتب ليس بمتحرك دائماً وبعضهُ متحركٌ بالضرورة . والله اعلم

فصل في القياس

اذا استدللنا بشيءٍ على شيءٍ فامّا ان يكون احدهما داخلاً في الثاني او لم يكن . فان كان الاول كان احدهما اعم من الاخص او ان يستدلّ بالعام على الخاص وهو القياس كالاستدلال بثبوت الجسم للحيوان الذي هو اعم من الانسان على ثبوتهِ للانسان او بالخاص على العام وهو الاستقراء كالاستدلال بثبوت حركة الفك الاسفل عند مضغ الفرس والثور على ثبوتهِ للحيوان . وان لم يكن احدهما داخلاً في الثاني وجب دخولها تحت كلّيٍ وهو التمثيل (argument *a pari*) فكأنهُ مركب من القياس والاستقراء

١) في الاصل المطلقة العامة وهو غلط

لانهُ يستدلُّ بثبوت الحكم في محل الوفاق على الارتباط بالوصف المشترك فيهِ وهو نسبة الاستقراء. تحقق على ثبوتهِ في الجزئي الاخر وهو نسبة القياس (١

القياس قول مؤلفٌ من اقوال مؤلفة اذا سُلّمت لزم عنهُ لذاتهِ قولٌ آخر فقولنا: « من اقوال » احترازاً من المقدّمة الواحدة لانها بالعكس ستتبع العكس وعكس النقيض وكذب النقيض مع انها ليست بقياس. وقولنا « متى سُلّمت » لا نريد بهِ كونها مسلّمة في نفسها بحيث لو سلمت لزم المطلوب. ونعني باللزوم اللزوم الذهني نعني بهِ انهُ شعور الذهن بالمقدمتين على الترتيب الخاص مما يستلزم الحكم بالنتيجة. ثم القياس ينقسم بحسب صورتهِ الى ما تكون النتيجة او نقيضها مذكوراً فيهِ بالفعل وهو الاستثنائي كقولنا: ان كان هذا انساناً فهو حيوان فان قلت « لكنهُ انسان » انتج « انهُ حيوان » فهذه النتيجة تصريحها مذكور في المقدّمة الشرطيّة وان قلت « لكنهُ ليس بحيوان » انتج فيهِ « ليس بانسان » فهذه النتيجة غير مذكورة في تلك الشرطيّة بل المذكور نقيضها. والى ما لا يكون كذلك وهو الاقتراني كقولنا: كل جسم مؤلفٌ وكل مؤلفٍ محدثٌ أنتج « كلُّ جسم محدث » فلا تكون النتيجة ولا نقيضها مذكورة في القياس. ثم هو ينقسم بحسب ما تركّب عنهُ من الحمليات او المتصلات او المنفصلات او الحملي والمتصل او الحملي والمنفصل او المتصل والمنفصل وبحسب التركيب الى اشكال اربعة لانَّ كل قضيّة لها طرفان فاذا كانت النسبة بينهما مجهولة طلبا ثالثاً تكون نسبتهُ اليهما بحسب متى عرفناها عرفنا النسبة المجهولة. وذلك الثالث لا بدَّ ان يكون لهُ الى كل الطرفين نسبة معلومة وبسبب ذلك تحصل المقدّمتان وهذا الثالث يسمّى الاوسط لتوسطهِ بين طرفي النتيجة. والقياس لا بدَّ فيهِ من مقدّمتين وحدود ثلثة ولنضرب المثال من الحمليات كل ا ب. وكل ب ج. فكل ا ج. فحدّان منهما موضوع المطلوب ومحمولهُ. والموضوع يسمى بالاصغر. والمحمول بالاكبر. والمقدّمة التي فيها الاصغر صغرى. والتي فيها الاكبر كبرى. ومجموع الاصغر والاكبر نتيجة. ثم الاوسط ان كان محمولاً في الصغرى موضوعاً في الكبرى فهو الشكل الاول لانَّ الترتيب الطبيعي فيهِ فقط لانَّ الذهن ينتقل من الموضوع الى الاوسط ومنهُ الى المحمول. فان عكست كبراه فقط صار الاوسط محمولاً في المقدّمتين معاً وهو الشكل الثاني. وكذلك فانَّ الشكل الثاني يرتدُّ الى الاول

١) كذا الاصل. امَّا التمثيل فعرفهُ بمنيار « الحكم على غائب بما هو موجود في مثال الشاهد »

بعكس الكبرى. وان عكست صغراه فقط صار الاوسط موضوعاً في المقدّمتين معاً وهو الشكل الثالث يرتدّ الى الاول بعكس صغراه. وان عكست كلتا مقدّمتيه معاً صار الاوسط موضوعاً في الصغرى محمولاً في الكبرى وهو الشكل الرابع وهو في غاية البعد لتغيّر كلتا مقدّمتيه عن النظم الطبيعي ووقوع الطرفين في الوسط والوسط في الطرفين. واشتركت الاشكال الاربعة في انهُ لا قياس عن جزئيتين ولا عن سالبتين ولا عن صغرى سالبة كبراها جزئية الّا في الوجوديّات والممكنات الخاصّة (وينقسم القياس) بحسب مادتهِ الى ما تركب من اليقينيّات وهو البرهان. والى ما تركب من المسلّمات العامة وهو الجدليّ. والى ما تركب من المظنونات وهو الخطابيّة والى ما تركب من المشبهات بالحق او المسلّم او المظنون وهو المغالطة. والى ما تركب من الخيلات وهو الشعر

الكلام في الدليل

من كتاب المعالم: الدليل امّا ان يكون مركباً من مقدّمات كلها عقليّة وهذا موجود. اوكلها نقليّة وهذا محال لانّ احدى مقدّمات ذلك الدليل هي كون النقل حجّة ولا يمكن اثبات النقل بالنقل ويكون بعضها عقلياً وذلك موجود ثمّ الضابط ان كان مقدّمة لا يمكن اثبات النقل الّا بعد ثبوتها فانهُ لا يمكن اثباتها بالنقل وكلما كان اخباراً عن وقوع ما جاز وقوعهُ وجاز عدمهُ فانهُ لا يمكن معرفتهُ الّا بالحسّ او بالنقل وما سوى هذين القسمين فانهُ يمكن اثباتهُ بالدلالة العقليّة والنقليّة. وقيل الدلائل النقليّة لا تفيد اليقين لانها مبنيّة على النقل للّغات والنقل للنحو والتصريف وعدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم النقل وعدم النسخ وعدم التقديم والتأخير وعدم التخصيص وعلى عدم المعارض العقليّ وعدم هذه الاشياء مظنون لا معلوم والموقوف على المظنون مظنون واذا ثبت هذا ظهر انّ الدلائل النقلية ظنية والعقلية قطعية والظنّ لا يعارض القطع واقول على الجملة يجب التمسُّك بالنقل الصحيح ويتأوَّل ما باينهُ تأويلاً يطابقهُ

الكلام في النظر

النظر يفيد العلم لانّ من حصر في عقلهِ ان هذا العالم متغيّر وحصر ايضاً ان كل متغير ممكن فمجموع ان هذين العلمين يفيد العلم بانّ العالم ممكن ولا معنًى لقولنا النظر يفيد العلم الا هذا وحاصل الكلام في النظر هو ان يحصل في الذهن علمان هما موجبان علم آخر فالتوصل بذلك الموجب الى ذلك الموجب الطاوب هو النظر وذلك الموجب هو

الدليل فنقول ذلك الدليل امَّا ان يكون هو العلة كالاستدلال بمماسَّة النار على الاحتراق أو المعلول المتساوي كالاستدلال بحصول الاحتراق على مماسَّة النار والاستدلال باحد المعلولين على الآخر كالاستدلال بحصول الاقتراق على الاحتراق فانهما معلولا علَّة واحدة في الاجسام السفليَّة وهي طبيعة النار (تمت)

مطبوعات شرقيَّة جديدة

L'Afrique chrétienne par Dom H. Leclercq. O. S. B., 2 vol. in-12 (Biblioth. de l'enseignement de l'hist. ecclesiast.), *Lecoffre, Paris*, 1904

افريقية النصرانيَّة

ليس صاحب هذا الكتاب من الحديثين في الكتابة فلو اطَّلع القارئ على معجم العاديَّات النصرانيَّة والطقوس الذي يتولَّى نشره الاباء البندكتيون تحت ادارة الاب ف. كبرول لوجد اسمهُ مكرَّرًا في عدَّة فصول تدلُّ على سعة علمه . وقد خصَّ تأليفهُ هذا بتاريخ النصرانيَّة في بلاد افريقية منذ القرون الاولى للمسيح الى ظهور الاسلام. وهو تاريخ عظيم الشأن لما ظهر في افريقية من مشاهير الرجال كترتوليان والقديس قبريانوس والقديس اوغسطينوس اسقف بونه الشهير . وقد استفاد المؤلف لوضع كتابهِ من مصادر شتَّى كمصنَّفات الاقدمين والكتابات الحجريَّة والآثار القديمة والاكتشافات الحديثة فنظم من كل ذلك عقدًا فريدًا يتحلَّى بهِ جيد العلوم . وهذا الكتاب يجمع بين اللذَّة والافادة لحسن سبكهِ وانسجام عبارتهِ مع وفرة تفاصيله التاريخيَّة . وممَّا يُذكر فيُشكر ان الكاتب لا يروي شيئًا دون الدلالة على الاصل الذي نقل عنهُ وتعيين الصفحة وناهيك بذلك نفعًا لمن احبَّ مراجعة الاصل او لاستدراك ما فات الكاتب او ليكون القارئ على بيّنة من صدق الرواة او لاغراض أُخرى غيرها . وهذا التدقيق في الروايات هو الذي دفع الطَّبَّاع « ليكوفر » على مباشرة مجموع تواريخ كنسيَّة تُتَّخذ كدستور في المدارس الاكليريكيَّة وعلى تفويض كتابتها الى رجال ذوي علم مستفيض. وممَّا توخَّاه مؤلف هذا الكتاب انهُ لم يكتفِ بتسطير الاحداث التاريخيَّة بل جعل تأليفهُ

ايضاً كنظر فلسفيّ على مقتضى مبادئ فلسفة التاريخ كما بيّن ذلك في مقدَّمتهِ . وفي الاجمال نقول انَّ هذا التأليف يشرّف صاحبهُ والرهبانيَّة التي ينتمي اليها فنحثُّ كل محبّي التاريخ على اقتنائهِ اذ بهِ تزدان الخزائن الكتبيَّة وهو من اجود ما يُعطى لطلبة المدارس من الجوائز لا سيَّما انهُ بخس الثمن بالنسبة الى مجموع صفحاتهِ (٨٠٠ ص) . ولا ينقص هذا الكتاب سوى خارطة بلاد افريقية التي ورد ذكرها في التأليف فيضيفها الى احد جزئيهِ

De Timotheo I Nestorianorum Patriarcha thesim facultati litter. Parisiensi proponebat **Hieronym. Labourt.** *Lecoffre, Paris.* 8°. 86 pp. 1904

طيموثاوس الاوَّل بطريرك النساطرة

هذه مقالة قدَّمها الاب لابور لكليَّة باريس لنوال شهادة اللفنة وكانت غايتهُ من تأليفها ان يجعلها كتتمَّة لكتابهِ الذي وصفناه في العدد السابق اعني تاريخ النصرانيَّة في بلاد فارس على عهد بني ساسان واراد ان يذكر احوال النصرانيَّة في العجم على عهد بني اميَّة وبني العبَّاس لكنَّهُ لم يجد من الاعلامات والفوائد ما كان يؤملهُ فقصر مقالتهُ على حدود معلومة من الزمن فبحث عن تاريخ نصارى الكلدان على عهد البطريرك طيموثاوس الاوَّل بعد ان قدَّم على بحثهِ نظرًا عموميًّا في احوالهم في ايَّام بني العبَّاس . وتقسيم المؤلف لمقالتهِ كتقسيمهِ لتاريخهِ فانهُ روى اوَّلًا الوقائع التاريخيَّة على حسب سياقها الطبيعي ثمَّ خصَّ بنظرهِ نظام الكنيسة النسطوريَّة وسياسة رعاتها وانتشارها . وقد ختم الكتاب بنُبذ اقتطفها من القانون الكنسي لطيموثاوس المذكور ونشرها لاوَّل مرَّة عن نسخة كلدانية . فنكرّر تهنئتنا لصاحب هذا التأليف ونتمنَّى لهُ مواصلة الكتابة في ما يهمُّ شرقنا العزيز ويجدي العلم والدين نفعاً عاماً س . ر

هدايا أرسلت الى ادارة مجلَّة المشرق

١ الروزنامة السوريَّة للمطبعة الادبيَّة لسنة ١٩٠٥

٢ احسن الأمهات لبنيا — تساعيَّة للعذراء القديسة المعروفة باسم سيدة التعزية . طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٤ ص ٩٦

٣ حمامة المشرق — وهي قصيدة المونسنيور يوسف العلم النائب الاسقفي الماروني التي نشرها المشرق وقد اضاف سيادتهُ شروحاً لالفاظها النادرة ونقلها الى الافرنسيَّة جناب الاديب شكري افندي ثابت (١٩٠٤ ص ٤٤)

٤ مقالتان ايطاليتان للاستاذ الفاضل ايتالو پيزي : الاولى في اوميروس والفردوسي الشاعرين (Il poema di Firdusi e la questioue Omerica) . والثانية في كتاب بيان الاديان لابي المعالي (Il trattato persiano « Esposizione delle Religioni di Abû'l-Maâli

٥ ترجمة لجنة القديس منصور دي بول التزبرية الى سنة ١٩٠٤ بقلم المعلم الاديب يوسف افندي فاخوري (ص ٢١)

شذرات

الملاك والطفل لرُبول الشاعر الافرنسيّ معرَّبة بقلم الشاعر المجيد فليكس فارس

١ وملاكٍ حفَّهُ نورُ السما كان محنيًا على جنب السرير
ناظرًا طفلًا بهِ مبتسما كخيالٍ لاحَ في ماء الغدير

٢ أيها الطفلُ الذي يُشبهني قُمْ بنا نسري الى أُفق النهى
ستلاقي النورَ اذ تتبعني أرضكم تعسٌ فلن تبقى بها

٣ ههنا ليس كمالٌ بالهنا فسرورُ النفس للتعس نذيرْ
وهتاف العز يُبقي شجنا وحنينُ الوجد يُنهَى بالزفيرْ

٤ ليس يخلو البالُ حتى في السعود حيثُ لا تلقى نهارًا مسعدا
في مسير الدهر من قصف الرعود بات من اهوالها يوقي غدا

٥ كيف تعلو في العوادي الظلماتْ لجبين فوقهُ زهرُ البها
والبكا يأتي يُسيلُ العبراتْ فوقَ تي الاجفان كي يُذبلَها

٦ لا ففي جو الفضاء الابدي مع جناحي سوف تسري طائرا
انما عفو الالهِ السرمدي جاء يُقصي عنك آلام الورى

٧ حيثُ انتَ الآن فليبقَ السكونْ دون ان يُخضبهُ كفُ الحِدادْ
وليكن مقتبلًا منك المنونْ مثل يوم جئتَ ما بين العبادْ

٨ فلتكن دون ضنًى تلك الجباهْ فيحوط السرُّ ذا القبرَ الصغيرْ
مَنْ قضى مثلك في زهر صباهْ خيرُ ايامٍ لهُ اليوم الأخيرْ

٩ قال هذا ناشرًا بيض الجناحْ وسرى نحو العُلى منتفضا
نحو رب العرش في دار الصلاحْ .. يالتعس الام فالطفلُ قضى

دياس جديد روى البشير الاخير انهُ كشفت بالقرب من اناني في ناحية سابينا دهاليز شبيهة كل الشبه بالدياميس الرومانيَّة القديمة وهي مركبة من رواق طولهُ عشرون مترًا وعلى جوانبهِ عدد من المدافن. وفي احدى زواياه كتابة تدلُّ على انهُ كان مقبرة للمسيحيين في الصدور الاولى. وقد كان بالقرب منهُ على مسافة مئة متر معبد قديم جدًّا للنصارى وجدت من آثاره في هذه الأيام بعض اعمدة

اقدم تمثال في الدنيا افادت المجلات الاميركيَّة ان احد العملة اسمهُ عبَّاس من قبيلة عفج كان يحفر في ٢٧ ك ٢ في جهات بابل عند بقايا هيكل قديم يُدعى «بسمية» تحت نظارة البعثة الاميركيَّة التي نالت بارادة سنيَّة رخصةً في حفر تلك الجهات اذ عثر على تمثال جميل من الرخام يمثل احد ملوك بابل. وكان رأسهُ منفصلًا فوُجد تامًّا بعد ذلك بثلاثة اسابيع على مسافة بضعة امتار من المكان. وطول التمثال ٧٨ س ودائرتهُ ١٨ س وهو يمثل الملك بلا لحية منتصبًا واقفًا على قائمة وحجاجا عينيهِ فارغان أُفرغا ليُجعل فيهما حجارة كريمة بدلًا من العينين. والشخص عاري الصدر في وسطهِ ازار وعلى ذيله اسم الهيكل والملك بحروف تعدُّ من اقدم الحروف المعروفة وهذا تعريب الكتابة: «إشار (وهو اسم الهيكل) الملك دادو (وتُرى داودو) ملك عدنون» وعدنون من اقدم مدن بابل ورد ذكرها في نصب حمورابي المكتشف حديثًا. امَّا الملك دادو فلا يُعلم من امره شيء. الَّا ان صورة الكتابة وقدم البناء الذي وجد فيهِ الاثر واسم عدنون فكل ذلك دليل على انَّ هذا التمثال اقدم العاديات التي بلغتنا

وقد كتب في آب من بغداد الدكتور ادغار جمس بنكس من كليَّة شيكاغو انَّ احدى النساء البدويَّات وجدت في وركاء (ارخ القديمة) آناء بديعًا من الجزع طولهُ ١٠ س وقطرهُ في اعلاه ١٦ س بأنيف وفي وسطهِ ٦ س ومعدَّل سمكهِ سنتمترٌ واحد وعلى الاناء كتابة من اقدم الخطوط المسماريَّة مضمونها انَّ كاهن اجدحادو ابن «لوغال كسال سي» المولود من امرأتهِ «موحارساغ» قد اهدى (هذا الاناء) للاله اورُو. و «لوغال كسال سي» المذكور احد ملوك اراك القدماء ورد ذكره في كتابة اخرى وجدت في نيبور يرقي العلماء تاريخ زمانهِ الى السنة ٤٠٠٠ قبل المسيح فيكون هذا الاناء من انفس العاديَّات واعظمها شانًا

تعاليم الجزويت السرّية — عادت احدى المجلّات المصريّة الى ذكر كتاب طبعهُ اعداء الرهبانيّة اليسوعيّة تحت هذا الاسم وحرمهُ الكرسي الرسولي. وقد فات هذه المجلّة انّا جعلنا لها منذ سنتين (راجع المشرق ٥ : ٥٧٦) سبقًا قدره ٥٠٠٠ فرنك ندفعها لها غنيمةً باردة ان امكنها أن تثبت صحّة زعمها او انّ لليسوعيين تعليمًا سريًّا ولم نطلب نحن منها سوى مئة فرنك تؤدّيها لاحد مستشفيات مصر. فما لها لم ترضَ بهذه الصفقة الرابحة ؟

اسئلة واجوبة

س سأل بعض ادباء البلدة: ١ً ما الفرق بين قول القدماء « ام ولد » و « ام بنين » ٢ً ما معنى الجبّة في قولهم « جبّة بشرّي » وما اصل الكلمة. ٣ً ما اصل لفظة « الاغربنية » التي ورد ذكرها في المدّد المشرين (ص ٩٦٢)

امّ ولد وامّ بنين — الجبّة

ج نجيب على (الاوّل) انّ المؤلفين لا يفرقون عادةً بين ام ولد ولم بنين. وليس في المعاجم شيء يدلُّ على انّ ثمّة فرقًا ما. ولعلَّهُ في الاصل او في الاصطلاح يوجد بعض الفرق فيكون معنى ام ولد المرأة التي تخلّف اولادًا سواء كانت شرعيّة او غير شرعيّة بخلاف « ام بنين » فانها المرأة الشرعية. ولذلك دعا العرب بعض النساء الشريفات بهذا الاسم كبنت ربيعة بن عمرو بن عامر وبنت عبد العزيز بن مروان. ونجيب على (الثاني) انّ الجبّة يراد بها المكان المنخفض والبطيحة والوادي ولعلّ الاصل من السريانية ܓܘܒܐ ومعناها الغور. وعلى (الثالث) ان « الاغربنية » لفظة يونانية « ἀγρυπνία » ومعناها السهر للصلاة وذلك انّ الرهبان كانوا اذا سهروا في ليلة بعض الاعياد يُعطى لهم شيء من الخبز المبارك ليقووا على السهر ثمّ استُعملت اللفظة للصلاة على الخمس الخبزات التي تُقدَّم في الاعياد ثمّ توزّع على الشعب ولذلك رتبة معروفة في الكنيسة اليونانية ل . ش